٣ ــ باب: في الصبر

قَالَ الله تَعَالَىٰ[١]: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا﴾.

بفضل الله، وعفوه كان حقيراً يسيراً، قال تعالى: ﴿إن ربك واسع المغفرة﴾[٢] قال الأبوصيري:

يا نفس لا تقنطي من زلة عظمت إن الكبائر في الغفران كاللمم

باب الصبر

أي: هذا باب بيان فضائل الصبر من الآيات، والأحاديث. قال الراغب في مفرداته: الصبر حبس النفس على ما يقتضيه العقل، أو الشرع، أو على البعد عما يقتضيان حبها عنه ا هـ. وقال ذو النون: هو التباعد عن المخالفات، والسكوت عند تجرع غصص البلية، وإظهار الغنى عند حلول الفقر بساحة المعيشة. قال الراغب: وربما خولف بين أسمائه بحسب اختلاف مواقعه، فإن كان حبس النفس بمصيبة سمي صبراً لا غير، ويضاده الجزع، وإن كان في محاربة سمي شجاعة. ويضاده الجبن، وإن كان في نائبة مضجرة سمي رحب الصدر. ويضاده الضجر، وإن كان في إمساك الكلام سمي كتماناً. ويضاده الهذر، وقد سمى الله تعالى كل ذلك صبراً قال تعالى: ﴿اصبروا وصابروا﴾[٣] أي: احبسوا أنفسكم على العبادة، وجاهدوا أهواءكم ا هـ.

(**قال الله تعالى: يا أيها الذين آمنوا اصبروا**) على الطاعات، والمصائب وعن المعاصي (**وصابروا**) الكفار أي: غالبوهم بالصبر، فلا يكونوا أشد صبراً منكم (**ورابطوا**) أي: أقيموا على الجهاد، وفي تفسير الكواشي: قال ﷺ: «رباط يوم في سبيل الله خير من الدنيا، وما عليها، والروحة يروحها العبد، أو الغدوة خير من الدنيا وما عليها» قال أبو سلمة: لم يكن في زمان رسول الله ﷺ غزو يرابط فيه، ولكنه انتظار الصلاة بعد الصلاة.

(**وقال تعالى: إنما يوفى الصابرون**)[٤] على الطاعة، وما يبتلون به، وترك ذكر الفاعل

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ٢٠٠.
(٢) سورة النجم، الآية: ٣٢.
(٣) سورة آل عمران، الآية: ٢٠٠.
(٤) هذه الآية ساقطة من نسخ الشرح. ع.

وَقَالَ تَعَالَىٰ[١]: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾.

وَقَالَ تَعَالَىٰ[٢]: ﴿إِنَّما يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسابٍ﴾.

وَقَالَ تَعَالَىٰ[٣]: ﴿وَلَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾.

وَقَالَ تَعَالَىٰ[٤]: ﴿اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ والصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾.

وَقَالَ تَعَالَىٰ[٥]: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ ٱلْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ والصَّابِرِينَ﴾.

للعلم به سبحانه **(أجرهم بغير حساب)** أي: بغير مكيال، ولا وزن، قال أبو عثمان المغربي: لا جزاء فوق جزاء الصبر، قال الكواشي في التفسير الكبير: المراد كل صابر على ترك أهل، ووطن، وعلى كل مكروه يعرض له لأجل الله، قال علي رضي الله عنه: كل مطيع يكال له كيلاً، ويوزن له وزناً، إلا الصابرون فإنه يحثي لهم حثياً.

(وقال تعالى: ولمن صبر) فلم ينتصر لنفسه بعد ظلمها **(وغفر)** تجاوز عن ظالمه **(إن ذلك)** المذكور من الصبر، والفقر **(لمن عزم الأمور)** أي: منه[٦] فحذف للعلم به، كحذفه من قولهم: السمن منوان بدرهم، والمعنى من الأمور التي أمر الله تعالى بها، وقال بعضهم: الصبر على المكاره من علامات الأنبياء، فمن صبر على مكروه أو مصيبة، ولم يجزع أورثه الله حالة الرضى، وهي من أجل الأحوال، ومن جزع من المصائب، وشكا، وكله الله إلى نفسه، ولم تنفعه شكواه.

(وقال تعالى: واستعينوا) أي: اطلبوا المعونة على أموركم **(بالصبر)** أي: الحبس للنفس على ما تكره **(والصلاة)** أفردها بالذكر تعظيماً لشأنها، وفي الحديث: «كان ﷺ إذا حزبه[٧] أمر بادر إلى الصلاة» وقيل: الخطاب لليهود لما عاقهم عن الإيمان الشره، وحب الرياسة، أمروا بالصبر، وهو الصوم لأنه يكسر الشهوة والصلاة لأنها تورث الخشوع وتنفي الكبر.

(وقال تعالى: ولنبلونكم) اللام فيه مؤذنة بقسم قبله، أي: والله لنختبرنكم بأن نأمركم

---

(١) سورة البقرة، الآية: ١٥٥.
(٢) سورة الزمر، الآية: ١٠.
(٣) سورة الشورى، الآية: ٤٣.
(٤) سورة البقرة، الآية: ١٥٣. (٧) بفتحات: أي نابه ألم شديد.
(٥) سورة محمد، الآية: ٣١.
(٦) أي ممن صبر وغفر. ع.

والآيات في الأمرِ بِالصَّبْرِ وَبَيَانِ فَضْلِهِ كَثِيرَةٌ مَعْرُوفَةٌ.

٢٥ ــ وَعَنْ أَبِي مَالِكٍ الْحَارِثِ بْنِ عَاصِمٍ الأَشْعَرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: الطُّهُورُ شَطْرُ الإيمانِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ تَمْلأُ الْمِيزَانَ، وَسُبْحَانَ اللَّهِ،

بالجهاد، ومشاق الدين فيظهر لنا منكم الطائع، والعاصي (**حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين**) المراد بالعلم هنا لازمه من الوجود، والمعنى حتى نتبين المجاهد والصابر على دينه من غيره أو حتى نعلم علم ظهور.

(**والآيات**) القرآنية (**في الأمر بالصبر و**) في (**بيان فضله كثيرة**) اهتماماً بشأنه (**معروفة**).

٢٥ ــ (**وعن أبي مالك الحارث بن عاصم**) هذا أحد أقوال عشرة في اسمه. وقيل: كعب بن عاصم. وقيل: كعب بن كعب. وقيل: عبيد. وقيل: عبيد الله. وقيل: عمرو. قال الحافظ ابن حجر العسقلاني في أمالي الأذكار: التحقيق أن أبا مالك الأشعري ثلاثة؛ الحارث بن الحارث، وكعب بن عاصم، وهما مشهوران باسمهما، والثالث هو المختلف في اسمه، وأكثر ما يرد في الروايات بكنيته وهو راوي الحديث ا هـ. (**الأشعري**) نسبة إلى الأشعر قبيلة مشهورة من اليمن، والأشعر هو ثبت بن أدد بن زيد بن يشجب، وقيل له الأشعر لأن أمه ولدته، والشعر على بدنه. قدم أبو مالك(**رضي الله عنه**) مع الأشعريين على النبي ﷺ، وعد في الشاميين، توفي في خلافة عمر بالطاعون، وطعن هو، ومعاذ، وأبو عبيدة، وشرحبيل بن عتبة في يوم واحد. روي له عن رسول الله ﷺ، سبعة وعشرون حديثاً. روى عنه مسلم حديثين: هذا الحديث، وبدأ به كتاب الطهارة من صحيحه، وحديث: «أربع في أمتي من أمر الجاهلية» وروى له البخاري على الشك فقال: عن أبي مالك، أو أبي عامر: وروى عنه أصحاب السنن الأربع (**قال: قال رسول الله ﷺ: الطهور**) قال المصنف بالضم على المختار، وهو قول الأكثر ا هـ. والمراد به بالضم الفعل، وبالفتح الاسم، كالسحور بالفتح اسم لما يتسحر به، وقال الخليل والأزهري بالفتح فيهما بل أنكر الخليل الضم، وحكى صاحب المطالع الضم فيهما، وقال القرطبي: إنما روي بالفتح إما على قول الخليل، أو على تقدير مضاف أي: استعمال الطهور. واشتقاقه من الطهارة، وهي لغة النظافة حسية كانت، أو معنوية. قال جماعة من أهل اللغة: هي حقيقة في الصورية مجاز في المعنوية، وقيل: يمكن أن يقال: إنها حقيقة في القدر المشترك لرجحانه على المجاز، والاشتراك. وشرعاً، فعل ما يترتب عليه إباحة، أو ثواب مجرد (**شطر**) أي: نصف

وَالْحَمْدُ لِلَّهِ تَمْلآن أَوْ تَمْلأُ مَا بَيْنَ السَّمواتِ وَالأَرْض، والصَّلاَةُ نُورٌ، وَالصَّدَقَةُ

(**الإيمان**) أي: ينتهي تضعيف أجره إلى نصف أجر الإيمان، فالمراد بالإيمان حقيقته، واعترض بأن الصلاة أفضل من الوضوء، ولم يرد فيها ذلك، وأجيب بالتزامه، وإن لم يرد، ومفهوم الاسم ضعيف، وقيل: المراد من الإيمان الصلاة مثل: ﴿وما كان الله ليضيع إيمانكم﴾[1] وهي لا تصح إلا بطهر، فكان كالشطر، ورجحه المصنف بأنه أقرب الأقوال، وأيده بعض محققي المتأخرين، وأجاب عما اعترض به عليه بكلام ذكرته في شرح الأذكار (**والحمد لله**) أي: هذه الجملة بخصوصها لأنها أفضل صيغ الحمد، ولذا بدىء بها الكتاب العزيز، أو هي وما يؤدي مؤداها من الثناء على الله سبحانه وتعالى بصفات كماله، ورجح بعضهم الأخير (**يملأ**) بالفوقية، أي: هذه الكلمة بالمعنى اللغوي، أو الجملة لو جسمت، أو بالتحتية أي: يملأ هذا المبنى، وكذا ما أفاد مفاده لو كان جسماً (**الميزان**) باعتبار ثواب التلفظ بذلك مع استحضار معناه أي: الثناء على الله بالجميل الاختياري، والإذعان له، والميزان المراد منه حقيقته أي: ما توزن به الأعمال: إما بأن تجسم، أو توزن صحائفها فتطيش بالسيئة وتثقل بالحسنة. وإنما ملأ ثواب هذه الجملة كفة الميزان مع سعتها المفرطة، لأن معاني الباقيات الصالحات في ضمنها، ذكره العلائي في الجزء الذي ألفه في شرح هذا الحديث، ولذلك قال رضي الله عنه: لو شئت أن أوقر بعيراً منها لفعلت، وذلك لأن الثناء تارة يكون بإثبات الكمال، وتارة بنفي النقص، وتارة بالاعتراف بالعجز عن الإدراك، وتارة بالتفرد بأعلى المراتب. والألف واللام في الحمد، لاستغراق جنس المدح والحمد مما علمناه وجهلناه، وإنما يستحق الإلهية من اتصف بذلك، فاندرج الجميع تحت الحمد لله، ذكره العلائي في أثناء كلام له (**وسبحان الله**) منصوب على المصدر وقيل: اسم مصدر وقال الزمخشري: هو علم على التسبيح وانتصب بفعل مضمر، أي: اسبحه سبحان ثم نزل منزلة الفعل فسد مسده اهـ. وظاهره أنه علم أضيف، أو قطع عنها، وأن إضافته للبيان لا للتعريف، كزيد الخيل، وهذا ظاهر قول الأخفش إنه معرفة وضع لهذا المعنى، ولذا امتنع صرفه للعلميّة وزيادة الألف والنون والمحققون على أن تعريفه بالإضافة والتسبيح تنزيه الله عن السوء، والنقائص، وتبعيده منها (**والحمد لله**) معطوف على ما قبله أي: هاتان الكلمتان (**تملآن**) بالفوقية (**أو**) شك من الراوي (**يملأ**) بالتحتية أي: المذكور منهما، أو

---

(١) سورة البقرة، الآية: ١٤٣.

. . . . . .

أجرهما وقيل: ويحتمل أن يراد أحدهما فيكون المشكوك فيه أنهما معاً يملآن ما بين السموات والأرض، أو أحدهما أو بالفوقية، أي: الكلمة الشاملة لهما وقال العاقولي في شرح المصابيح: يروى بالمثناة الفوقية (ما بين) طبقات (السموات) السبع، وفي السلاح «السماء» بالإفراد، وعزاه لمسلم، وكأنه باعتبار أصله[1]، وإلا فالذي عندي بأصل مصحح «السموات» بالجمع، وكذا هو في الكتب الحديثية (والأرض) أفرده، والمراد به الجمع أي: الأرضون، ولعل ذلك لأن طباق الأرض متلاصقة لاخلاء بينها، بخلاف طباق السموات. قال البيضاوي في التفسير: إنما جمع السموات، وأفرد الأرض لأنها طبقات متفاصلة بالذات مختلفة في الحقيقة بخلاف الأرضين ا هـ. وإنما ملأ ثواب ما ذكر ما بين المذكورات التي لا يحيط بسعتها إلا خالقها سبحانه. لأن العالم كله شاهد بأن الله هو خالقه، والقائم بتدبيره، وبأنه لا يجوز أن يكون له فيه شريك، ولا معين. وبأنه واجب الاتصاف بصفات الكمال، منزه عن مشابهة المحدثات، إذ الإلهية إنما تتم بذلك قيل: وإلى هذه الشهادة يشير قوله تعالى: ﴿وإن من شيء إلا يسبح بحمده﴾[2] فسبحان الله، والحمد لله يتضمنان إثبات الرب الواحد، وجميع صفات الجلال، والكمال له، ونفي جميع النقائص عنه، فكأن قائلها شاهد لله بذلك، وعلى جميع العالم بأنه مربوب مخلوق في قهره، وتدبيره، لا منعم عليه، ولا قادر، ولا مالك بالحقيقة سواه، فله من الأجر بقدر ما شهد به من الحق فملأ أجرهما ما بين السموات والأرض نقله العلائي عن ابن برجان في الكلام على لا إله إلا الله قال العلائي: ويصح نقله إلى هنا (والصلاة) سيأتي معناها لغة، وشرعاً إن شاء الله تعالى (نور) أي: محسوس أي: أن الصلاة نفسها، تضيء لصاحبها في ظلمات الموقف بين يديه، ولم يجيء في فعل متعبد به أنه نور في نفسه سوى الصلاة، فالظاهر أن هذا النور خاص بها، وأصرح منه ما لأحمد بسند صالح عن ابن عمر: قال ﷺ: «من حافظ على الصلاة كانت له نوراً، وبرهاناً، ونجاة يوم القيامة، ومن لم يحافظ عليها، لم تكن له نوراً ولا برهاناً، ولا نجاة يوم القيامة وكان مع قارون، وفرعون، وهامان وأبي بن خلف» وقيل: النور أجرها لا هي فتكون على تقدير مضاف، وقيل نور ظاهر على وجه المؤمن يوم القيامة، فالمراد: بها أي: بسببها يعلو النور، وجه المؤمن بالإسناد مجازي من

(١) أي الأصل الذي عنده من مسلم. ع.

(٢) سورة الإسراء، الآية: ٤٤.

بُرْهانٌ، وَالصَّبْرُ ضِياءٌ، وَالقُرْآنُ حُجَّةٌ لَكَ أَوْ عَلَيْكَ، كُلُّ النَّاسِ يَغْدُو فَبائِعٌ نَفْسَهُ فَمُعْتِقُها

الإسناد للسبب، وقيل: النور معنوي لأنها تنهى عن الفحشاء، والمنكر وتهدي إلى الصواب فتصد عن المهالك، وتوصل إلى طريق السلامة، كما يستضاء بالنور، وقيل: نور القلب بسببها لاشتمالها على ما لم يجتمع في غيرها من أعمال القلوب، والألسن والجوارح فرضاً ونفلاً، فالصلاة الكاملة يحصل بها من النور الإلٰهي في القلب ما لا يعبر عنه، قيل: ويمكن حمل النور على جميع ما تقدم من حقيقة اللفظ، ومجازه على قاعدة الشافعي **(والصدقة برهان)** أي: حجة على إيمان مؤديها، وقيل على أنه ليس من المنافقين الذين يلمزون المطوعين من المؤمنين في الصدقات، وقيل: على حبه لله، ورسوله فإنه آثر رضاهما على المال الذي جبل على حبه، وقيل: برهان له يوم القيامة، إذا سئل عن ماله فيم أنفقه يقول تصدقت به، وقال صاحب التحرير: يجوز أن المتصدق يوسم يوم القيامة بسيمى يعرف بها، فتكون برهاناً له على حاله، ولا يسأل عن مصرف ماله، وأيد بحديث أبي داود عن عقبة بن عامر مرفوعاً: «كل امرىء في ظل صدقته يوم القيامة حتى يقضى بين الناس» فيكون هذا الظل برهاناً على صدق إيمانه، أو على إخلاصه **(والصبر ضياء)** قيل: المراد هنا بالصبر الأعم من الصبر على طاعة الله، وعن معصيته، وعلى المكاره، ومنه الصوم، وقيل: المراد به صبر خاص، وهو الصوم. ورجحه صاحب مطالع الأنوار بأنه صرح به في رواية، ورجحه غيره باقترانه بالصلاة، والصدقة[1] فكشفها وبين خصوصياتها[2] وأن من استجمعها حصل له نور في بياض انتشر له ضياء وهو من الإضاءة انتشار النور، وهذا أكمل أحوال النور قال تعالى: ﴿هو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نوراً﴾[3] وقال القرطبي: إن فسر الصبر بالصوم، فالضياء النور، وإن اختلف لفظهما، وإن فسر بالأعم، فهو إضاءة عواقب الأحوال، وحسنها في المآل اهـ. قال الفاكهاني: ولم أرَ من فرق بين الضياء، والنور، وقد فسر صاحب الصحاح النور بالضياء، والضياء بالنور، ورد بأن كون الضياء، هو النور، لأنه خصوصية في النور، وزائد عليه وأبلغ منه، قال: والحاصل أن النور الحادث، قد يخلق كامل الضياء، كالشمس ودون ذلك، كالقمر، وإنما سوى القرطبي بينهما، لئلا يلزم تفضيل الصوم على الصلاة وليس بلازم لأن مناط الفضل ليس منحصراً، بل له أسباب كثيرة، واعتبارات متنوعة، فيكون المفضول فاضلاً في وقت، وبالعكس اهـ. **(والقرآن)** أي:

(١، ٢) يظهر أن في هذين الموضعين سقطاً ولم نعثر عليه في الأصول الأربع بيدنا فليحرر. ع.

(٣) سورة يونس، الآية: ٥.

أَوْ مُوبِقُهَا، . . . . . .

كلام الله المنزل على حبيبه ﷺ بقصد الإعجاز المتعبد بتلاوته **(حجة لك)** إن امتثلت أوامره واجتنبت نواهيه، فتحتج به في المواقف التي تسأل فيها عنه كمسائل الملكين في القبر، وكالمسألة عند الميزان، وعند الصراط **(أو)** حجة **(عليك)** إن لم تمتثل أوامره، ولم تجتنب نواهيه، وقيل: حجة لك في الدنيا على المطالب الشرعية، والأحكام أو حجة عليك لخصمك المحق، فالمرجع إليه عند التنازع، وهو دال على اتباع السنة وهي على حجية القياس، والكتاب والسنة دالان على حجية الإجماع، فصار القرآن مرجع جميع الأحكام لكن بواسطة تارة وبغيرها أخرى، قال الفاكهاني: والأول أظهر، وقال العلائي: والآثار شاهدة به. ثم ساق أحاديث منها للبيهقي بسند غريب عن جابر مرفوعاً: «القرآن شافع مشفع، وما حل مصدق، فمن جعله إمامه ساقه إلى الجنة، ومن جعله خلفه ساقه إلى النار» ومنها عن أبي أمامة مرفوعاً: «اقرءوا القرآن فإنه يأتي شفيعاً لصاحبه يوم القيامة» قال العلائي بعد إيراده جملة من الأحاديث، ورجح الزملكاني القول بذلك لهذه الآثار، والحمل على مقتضى القولين أولى تكثيراً للفائدة ثم لما بين فضل هذه القربات، ورغب فيها وكان إعمال النفس لها يقتضي سعياً أتبع ذلك بأن أحداً لا يترك نفسه هملاً باطلة بل لا بد له من عمل يغدو له فقال **(كل الناس يغدو)** أي: يبكر في مصالحه **(فبائع نفسه)** من الله **(فمعتقها)** من العذاب وناهيك بها صفة اغتنام، إذ كان الثمن فيها دار السلام، والنظر إلى وجه الملك العلام، قال الله تعالى: ﴿إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم﴾[1] الآية. وهؤلاء سعوا في خلاص نفوسهم، وتوجهوا بقلبهم إلى ربهم، وطلب ما عنده **(أو)** بائع نفسه لغير ربه من هواه، أو الشيطان فهو **(موبقها)** أي: مهلكها بالطرد عن ساحة الرضوان، وبالبعد، والحرمان، نعوذ بالله من سخطه، وأليم عقابه، ويحتمل أن يكون المراد ببائع مشتر، أي: كلهم يسعى فمنهم من يشتري نفسه بالأعمال الصالحة فيعتقها من العذاب ومنهم من يعرضها للعذاب باكتساب المآثم فيوبقها، ورجح بأن نفسه ليست ملكه فيبيعها، بل مملوكة لله مرتهنة بأعمالها حتى يخلصها، واختار القاضي عياض حمله على المعنيين أي: من اشتراها بالأعمال الصالحة أعتقها، ومن باعها في الأعمال السيئة أوبقها، كما قيل في: ﴿ولبئس ما شروا به أنفسهم لو كانوا يعلمون﴾[2] وهذا على قاعدة الشافعي في حمل

(١) سورة التوبة، الآية: ١١١.

(٢) سورة البقرة، الآية: ١٠٢.

رَوَاهُ مُسْلِمٌ[١].

٢٦ ـ وَعَنْ أَبِي سَعِيْدٍ سَعْدِ بْنِ مَالِكِ بْنِ سِنَانٍ ٱلْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ ناساً

المشترك على معنييه ورد كل جملة إلى معنى، وهو نوع من الإيجاز بديع عند أرباب البيان، لخصت معظم ما ذكرته في هذا الحديث من شرحه فقط للعلامة العلائي (رواه مسلم) ورواه أحمد، والدارمي في مسنده وأبو عوانة في صحيحه، والترمذي في الدعوات من جامعه وقال: إنه حسن صحيح، والنسائي في عمل اليوم والليلة، وسها ابن عساكر، وتبعه المزي فأغفلا في أطرافهما عن عزو هذا الحديث للترمذي، وأخرجه الطبراني في معجمه الكبير، ووقع في رواية أبي سلام عن أبي مالك الأشعري اختلاف. فمن ذكرناهم رووه عنه عن أبي مالك بلا واسطة، ورواه ابن ماجه، وآخرون عنه عن عبد الرحمن بن غنم عن أبي مالك قال الحافظ السخاوي في تخريج الأربعين للمصنف بعد كلام طويل نقله في ذلك عن شيخه الحافظ: وبالجملة فالطريق الأولى[٢] أعني كون أبي سلام سمعه من كل منهما، وكون الصحابي في الطريقين واحداً. أولى.

٢٦ ـ **(وعن أبي سعيد سعد بن مالك بن سنان الخدري رضي الله عنه)** الأولى عنهما لما سبق في ترجمته، في باب التوبة من أنه وأباه كانا صحابيين **(أن ناساً)** في تفسير البيضاوي أصله أناس لقولهم: إنسان، وأنس وأناسي، فحذفت الهمزة حذفها في لوقه[٣]، وعوض عنها حرف التعريف، ولذا لا يكاد يجمع بينهما، مأخوذ من أنس بوزن فرح لأنهم يستأنسون بأمثالهم، أو من آنس[٤] لأنهم ظاهرون مبصرون ا هـ. وقيل: مقلوب نسي، وقيل: مأخوذ من ناس ينوس إذا اضطرب وتحرك، قال الحافظ ابن حجر في فتح الباري: لم يتعين لي أسماؤهم إلا أن النسائي روى عن أبي سعيد ما يدل على أنه منهم، وذلك أنه قال: «سرحتني أمي إلى النبي ﷺ. يعني لأسأله من حاجة شديدة. فأتيته وقعدت فاستقبلني وقال: من استغنى أغناه الله» الحديث وزاد فيه: «ومن سأل وله أوقية فقد ألحف، فقلت:

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب: الطهارة، باب: فضل الوضوء. (الحديث: ١).

(٢) بضم الهمزة وقوله أولى بفتح الهمزة خبر وما بينهما اعتراض.

(٣) بضم اللام وقد تسبق بهمزة مفتوحة طعام طيب أو زبد برطب. ع.

(٤) بمعنى أبصر كقوله تعالى: ﴿آنس من جانب الطور ناراً﴾. ش.

مِنَ الأَنْصارِ سَأَلُوا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَأَعطاهُمْ ثُمَّ سَأَلُوهُ فَأَعْطَاهُمْ؛ حَتَّى نَفِدَ مَا عِنْدَهُ، فَقَالَ لَهُمْ حِيْنَ أَنْفَقَ كُلَّ شَيْءٍ بِيَدِهِ: «مَا يَكُنْ عِنْدِي مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ أَدَّخِرَهُ عَنْكُمْ، وَمَنْ يَسْتَعْفِفْ يُعِفَّهُ اللَّهُ، وَمَنْ يَسْتَغْنِ يُغْنِهِ اللَّهُ، وَمَنْ يَتَصَبَّرْ يُصَبِّرْهُ اللَّهُ؛ وَمَا أُعْطِيَ أَحَدٌ

ناقتي خير من أوقية فرجعت ولم أسأله» ا هـ. **(من الأنصار)** بفتح الهمزة اسم إسلامي علم بالغلبة على أولاد الأوس، والخزرج سموا به لنصرتهم رسول الله ﷺ، ودينه **(سألوا رسول الله ﷺ)** حذف المفعول الثاني، لعدم تعلق الغرض به **(فأعطاهم)** أي: عقب سؤالهم ولم يتوان لما جبل عليه من مكارم الأخلاق، والسماحة **(ثم سألوه فأعطاهم)** فتكرر منهم السؤال مرتين ومنه الإعطاء عقب كل مرة **(حتى نفد)** بكسر الفاء، وبالدال المهملة ففي الصحاح نفد الشيء ينفد نفاداً فني **(ما عنده)** أي: ذهب بالإنفاق جميع ما عنده **(فقال)** عقب نفاده تنفيراً لهم من الاستكثار مما زاد على الحاجة من الدنيا، وتحريضاً على القناعة، وحثاً على الاستعفاف، واللام في **(لهم)** هي لام المبالغة **(حين أنفق)** هو مختص بإخراج الشيء في الخير **(كل شيء)** معد للإنفاق كائن **(بيده: ما يكن)** كذا هو بالجزم فيما وقفت عليه من نسخ مصححة من الرياض، وهو كذلك في أصل مصحح عندي من صحيح مسلم فتكون ما شرطية، وفي البخاري «ما يكون» بالرفع قال الشيخ زكريا: فما موصول متضمن معنى الشرط، وجوابه على الوجهين قوله فلن أدخره **(عندي من)** بيانية **(خير فلن أدخره)** بتشديد الدال المهملة، وجاء إعجامها مدغماً، وغير مدغم، وأصله ادتخر فقلبت التاء دالاً على اللغة الأولى، وذالاً على اللغة الثانية، والمعنى: لا أجعله ذخيرة لغيركم معرضاً عنكم، أو فلا أخبؤه وأمنعكم إياه **(ومن يستعفف)** بفك الإدغام، فالفعل مجزوم بالسكون لفظاً، أي: من طلب العفة عن سؤال الناس، والاستشراف إلى ما في أيديهم **(يعفه الله)** أي: يرزقه العفة، فيصير عفيفاً قنوعاً، وفي النهاية: وقيل الاستعفاف الصبر، والنزاهة عن الشيء يقال: عف يعف عفة، فهو عفيف وهو بفتح الفاء لأنها أخف الحركات، أو بكسرها لأنها الأصل في التخلص من التقاء الساكنين **(ومن يستغن)** أي: يظهر الغناء بالتعفف عما في أيدي الناس **(يغنه الله)** أي: يجعله غني النفس، ولا غناء إلا غناؤها **(ومن يتصبر)** أي: يتكلف الصبر على ضيق العيش، وغيره من مكاره الدنيا بأن يتجرع مرارة ذلك، ولا يشكو لغير مولاه **(يصبره الله)** أي: يعطيه من حقائق الصبر الموصلة للرضى ما يهون عليه كل مشق ومكدر، ولشرف مقام الصبر وعلوه لأنه جامع لمكارم الأخلاق ومعالي الصفات فلا ينال شيئاً منها إلا من تحلى به عقبه بقوله: **(وما أعطي أحد عطاء)** مفعول ثان لأعطي أي: ماأعطي أحد من

عَطَاءً خَيْراً وَأَوْسَعَ مِنَ الصَّبْرِ» مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ(١).

٢٧ ـ وَعَنْ أَبِي يَحْيَى صُهَيْبِ بْنِ سِنَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ

خلق ولا مقام (خيراً) كذا هو بالنصب في النسخ وفي البخاري: هو خير، وفي مسلم: خير، بحذف هو في رواية، وفي رواية بنصب خير (وأوسع من الصبر) قال الشيخ زكريا: خيراً هنا ليس بأفعل تفضيل بل هو كقوله تعالى: ﴿أصحاب الجنة يومئذ خير مستقراً﴾(٢) اهـ. ومعنى كونه أوسع أن به تتسع المعارف، والمشاهد، والمقاصد، فإن قلت: مقام الرضى أفضل منه كما صرحوا به. قلت: هو غايته لأنه لا يعتد به إلا معه فليس أجنبياً عنه إذ الصبر من غير رضى مقام ناقص جداً (متفق عليه) وكذا أخرجه أصحاب السنن الأربع، وزاد رزين: «وقد أفلح من أسلم ورزق كفافاً وقنعه الله بما آتاه» وهذه الزيادة أخرجها مسلم، والترمذي من رواية عمرو بن العاص كذا في التيسير للديبع.

٢٧ ـ (وعن أبي يحيى صهيب) بضم المهملة، وفتح الهاء بعدها تحتية ساكنة، فموحدة (ابن سنان) بكسر المهملة، ونونين بينهما ألف ابن مالك بن عبد عمرو بن عقيل بن عامر بن جندلة بن جذيمة بن كعب بن سعد بن أسلم بن أوس مناة بن النمر بن قاسط بن هنساء بن أقصى بن دُعمي بن جديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار الربعي النمري. كذا نسبه الكلبي وأبو نعيم، وصدر به ابن الأثير في أسد الغابة ثم حكي في نسبه قولين آخرين. كناه ﷺ بأبي يحيى، وإنما قيل له الرومي لأن الروم سبوه صغيراً فابتاعه منهم كلب، ثم قدموا به مكة فشراه عبد الله بن جذعان منهم فأعتقه، وأقام معه إلى أن هلك عبد الله، وقيل: إنه هرب من الروم لما كبر وعقل فقدم مكة وحالف ابن جذعان، ولما بعث النبي ﷺ أسلم، وكان من السابقين إلى الإسلام. قال الواقدي: أسلم هو وعمار في يوم واحد، وكان إسلامهما بعد بضعة وثلاثين رجلاً، وكان من المستضعفين بمكة الذين عذبوا، وقدم المدينة مع علي بن أبي طالب في النصف من ربيع الأول، والنبي ﷺ في قباء لم يرمِ أي: لم يبرح من مكانه بعد، وآخى النبي ﷺ بينه، وبين الحارث بن الصمة، شهد المشاهد كلها مع النبي ﷺ، وعن أنس مرفوعاً: «السباق أربعة: أنا سابق العرب، وصهيب سابق الروم، وسلمان سابق

---

(١) أخرجه البخاري في الزكاة باب الاستعفاف عن المسألة(٣/٢٦٥)و(١١/٢٦٠).
وأخرجه مسلم في كتاب: الزكاة، باب: فضل التعفف والصبر (الحديث: ١٢٤).
(٢) سورة الفرقان، الآية: ٢٤.

رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «عَجَباً لِأَمْرِ ٱلْمُؤْمِنِ! إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ لَهُ خَيْرٌ وَلَيْسَ ذَلِكَ لِأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ: إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ فَكَانَ خَيْراً لَهُ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ صَبَرَ فَكَانَ خَيْراً لـه». رَوَاهُ مُسْلِمٌ[1].

فارس وبلال سابق الحبش» وكان عمر محباً لصهيب حسن الظن به حتى أنه لما ضرب أوصى أن يصلي عليه صهيب وأن يصلي بالمسلمين حتى يتفق أهل الشورى على شخص. روي له عن رسول الله ﷺ ثلاثون حديثاً. أخرج له مسلم ثلاثة أحاديث، ولم يخرج له البخاري شيئاً. توفي بالمدينة سنة ثمان وثلاثين. وقيل: تسع وثلاثين وهو ابن ثلاث وسبعين سنة ودفن بالمدينة **(رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: عجباً)** مفعول مطلق أي: أعجب عجباً، وتعجب ابن آدم من الشيء إذا عظم موقعه عنده وخفي عليه سببه كما في النهاية **(لأمر المؤمن)** أي: الكامل وهو العالم بالله الراضي بأحكامه العامل على تصديق موعوده **(أن أمره)** أي: شأنه **(كله)** بالنصب تأكيد، وبالرفع مبتدأ خبره **(له خير)** والجملة خبر إن **(وليس ذلك)** الخير في كل شأن **(لأحد إلا للمؤمن)** الكامل، ووضع الظاهر موضع المضمر، دفعا للوهم وليشعر بالعلية أي: أن إيمانه الكامل سبب خيريته في كل حال **(إن أصابته سراء)** بفتح السين، وتشديد الراء المهملتين أي: ما يسره **(شكر)** أي: عرف قدر نعمة مولاه، فشكره **(فكان)** شكره **(خيراً له)** من السراء التي نالها لكونه ثواباً أخروياً **(وإن أصابته ضراء)** أي: ما يضره في بدنه، أو ما يتعلق به من أهل، أو ولد، أو مال **(صبر)** واحتسب ذلك عند الله رجاء ثوابه ورضي به نظراً لكونه فعل مولاه الذي هو أرحم به **(فكان)** صبره في الضراء **(خيراً له)** لأنه حصل له بذلك خير الدارين، أما غير كامل الإيمان فإنه يتضجر ويتسخط من المصيبة، فيجتمع عليه نصبها، ووزر سخطه، ولا يعرف للنعمة قدرها فلا يقوم بحقها، ولا يشكرها فتنقلب النعمة في حقه نقمة، وينعكس عليه الحال نعوذ بالله من النقصان بعد الزيادة، ومن الحور بعد الكور[2] **(رواه مسلم)** وكذا رواه الإمام أحمد من حديث صهيب أيضاً كما في الجامع الصغير.

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب: الزهد والرقائق، باب: المؤمن أمره كله خير. (الحديث: ٦٤).

(٢) قال ابن مالك في شرح المشارق الحور بفتح الحاء المهملة وسكون الواو بمعنى النقض. بعد الكور. بفتح الكاف وبالراء المهملة وهو لف العمامة يقال كار عمامته إذا لفها وحارها إذا نقضها يعني نعوذ بك من أن تفسد أمورنا بعد صلاحها واستقامتها. ع.

٢٨ ـ وَعَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: لَمَّا ثَقُلَ النَّبِيُّ ﷺ جَعَلَ يَتَغَشَّاهُ ٱلْكَرْبُ. فَقَالَتْ فَاطِمَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: وَاكَرْبَ أَبَتَاهُ! فَقَالَ: «لَيْسَ عَلَى أَبِيكِ كَرْبٌ بَعْدَ الْيَوْمِ» فَلَمَّا مَاتَ قَالَتْ: يَا أَبَتَاهُ! أَجَابَ رَبّاً دَعَاهُ. يَا أَبَتَاهُ، جَنَّةُ ٱلْفِرْدَوْسِ مَأْوَاهُ.

---

٢٨ ـ **(وعن أنس رضي الله عنه)** تقدمت ترجمته **(قال لما ثقل النبي ﷺ)** بضم القاف من شدة المرض، ورواه الديبع في التيسير بلفظ: لما احتضر بالبناء للمجهول من الاحتضار لكن في أصله جامع الأصول كما هنا، ولعل ما عند الديبع لفظ النسائي **(جعل)** من أفعال الشروع **(يتغشاه)** أي: يغشاه **(الكرب)** على وزن الضرب أي: الشدة من سكرات الموت لعلو درجته، وشرف رتبته. وفي الحديث: «أشد الناس بلاء الأنبياء ثم الأولياء ثم الأمثل فالأمثل» وقد أفرد بعض العارفين[1] في هذا المعنى مؤلفاً سماه: «القول الأجل في حكمة كرب المصطفى عند حلول الأجل» وقد أوردته بجملته في شرح الأذكار **(فقالت فاطمة رضي الله عنها: وا)** للندبة **(كرب أبتاه)** قالته لما رأته حل به ﷺ، فتألم قلبها، وباح بما فيه لسانها مع كمال صبرها، ورضاها بفعل ربها ومثل ذلك لا يقدح في الكمال، ففي الحديث: «العين تدمع، والقلب يجزع ولا نقول إلا ما يرضي الرب» وهذا محمول على أنها لم ترفع صوتها بذلك وإلا لكان ينهاها، ثم عند النسائي عن ثابت[2] بدل «واكرب أبتاه» واكرباه، والأول أصوب لقوله في نفس الخبر **(فقال)** أي: النبي ﷺ **(ليس على أبيك)** أتى بالمظهر إيماء إلى أن سبب صدور ما تقدم من السيدة فاطمة هو البعضية، وكونه ﷺ أصلاً لها **(كرب بعد اليوم)** أي: لا يصيبه نصب، ولا وصب يجد له ألماً بعد اليوم لأنه ينتقل من دار الأكدار إلى دار الآخرة، والسلامة الدائمة، إلى ما لا يعلم بأدناه من العطايا السنية، والمراتب العلية فضلاً عن أعلاه، إلا من منحه وأولاه، وقد ورد: «لا راحة للمؤمن دون لقاء ربه» فكيف بسيد السادات فقد انتقل لمحل قرة عينه، وراحة نفسه، ودوام أنسه **(فلما مات قالت:)** فاطمة **(يا)** حرف ندبة **(أبتاه)** بإسكان الهاء. وأصله يا أبي فأبدلت الفوقية من التحتية لأنهما من الحروف الزوائد، والألف هي التي تلحق آخر الاسم عند الندبة، وكذا الهاء وتسمى هاء السكت لحقت آخر المندوب للوقف عليها ورأيته بضم الهاء في نسخ الرياض ولم يظهر لي وجهه لأن الهاء لا تلحق المندوب إلا في الوقف، وهي فيه ساكنة وتحذف وصلاً، فالظاهر أن

---

(١) هو الشيخ شمس الدين أحمد بن أبي الحسن البكري. ش.

(٢) في الشمائل: عن ثابت عن أنس. ش.

يَا أَبَتَاهُ، إِلَى جِبْرِيلَ نَنْعَاهُ. فَلَمَّا دُفِنَ قَالَتْ فَاطِمَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: يَا أَنَسُ! كَيْفَ طَابَتْ أَنْفُسُكُمْ أَنْ تَحْثُوا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ التُّرابَ؟! . . . . . .

الضبط المذكور من بعض الكتاب **(أجاب رباً دعاه**[1]**)** إلى لقاه **(يا أبتاه من)** أي: الذي وحكى الطيبي عن نسخة من المصابيح كسر الميم على أنها حرف جر والأول أولى وفي نسخة من الرياض حذف من **(جنة الفردوس)** مبتدأ، والفردوس بستان يجمع كل ما في البساتين من شجر، وزهر، ونباق، قيل وهي رومية معربة، كذا في تحفة القاري. وفي الجامع الصغير حديث: «إذا سألتم الله تعالى فاسألوه الفردوس فإنه سر الجنة» رواه الطبراني عن العرباض مرفوعاً والسر بالضم الوسط بمعنى الخيار لما في حديث آخر عند البخاري في كتاب الجهاد: «أنه وسط الجنة، وأنه أعلى الجنة، وأن سقفه عرش الرحمن» وخبر المبتدأ قوله **(مأواه)** أي: منزله، وعلى كسر الميم فهو مبتدأ خبره الظرف قبله **(يا أبتاه إلى جبريل)** بكسر الجيم والراء، وإسكان الموحدة والتحتية بعدها لام. وهو اسم عبراني قيل: معناه عبد الرحمن. وقيل: عبد الله. وفي جبريل أحد عشر لغة ذكرتها في أوائل شرح الأذكار. والظرف متعلق بقوله: **(ننعاه)** أي: نرفع خبره إليه: لأن الإنسان يذكر ما ينزل به من الأحوال لأحبابه على وجه الإخبار عما نزل. ولا يضر في الكمال إذا لم يكن فيه تسخط من القدر الإلهي ولا تجزع بحال، قال العلقمي نقلاً عن الحافظ: زاد الطبراني في هذا الحديث: «يا أبتاه من ربه ما أدناه» ويؤخذ من الحديث جواز التوجع للميت عند احتضاره مثل قول فاطمة: «واكرب أبتاه» وأنه ليس من النياحة: لأنه ﷺ أقرها على ذلك. وأما قولها بعد أن قبض: «واأبتاه الخ» فيؤخذ منه أن تلك الألفاظ إذا كان الميت متصفاً بها لا يمنع ذكره بها بعد موته، بخلاف ما إذا كانت فيه ظاهراً وهو في الباطن بخلاف ذلك أو لا يتحقق اتصافه بها فيدخل المنع اهـ. **(فلما دفن)** بالبناء للمجهول **(قالت فاطمة رضي الله عنها:)** جملة دعائية مستأنفة، وعبر عنه بالماضي تفاؤلاً بتحققه، وأعاد ذكرها لطول الكلام بينه وبين ذكرها أولاً ونظيره قوله تعالى: ﴿أنكم إذا متم وكنتم تراباً وعظاماً أنكم مخرجون﴾[2] **(يا أنس أطابت أنفسكم)** وعند الدبيع: كيف طابت أنفسكم **(أن تحثوا)** أي: بأن تحثوا **(على)** قبر **(رسول الله ﷺ التراب)** قال الحافظ: أشارت بذلك إلى عتابهم على إقدامهم على ذلك لأنه يدل على خلاف ما عرفته فيهم من رقة قلوبهم، وشدة محبتهم له، وسكت أنس عن جوابها

---

(١) الألف مبدلة من ياء المتكلم والمعنى أجاب ربي دعاه. ع.

(٢) سورة المؤمنون، الآية: ٣٥.

رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ(١).

٢٩ ــ وَعَنْ أَبِـي زَيْدٍ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدِ بْنِ حَارِثَةَ مَوْلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَحِبِّهِ وَٱبْنِ حِبِّهِ رَضِيَ

رعاية لها. ولسان حاله يقول: لم تطب أنفسنا بذلك إلا أنا قهرنا على فعله امتثالاً لأمره ا هـ. وروي أنها أنشدت:

مـاذا على من شم تـربـة أحمـد	ألا يشم مـدى الـزمـان غـواليـا
صـبت عـلي مصـائـب لـو أنهـا	صبت على الأيـام عـدن ليـاليـا

(**رواه البخاري**) في آخر المغازي من صحيحه، وكذا رواه النسائي، وابن ماجه في الجنائز، وأخرجه ابن ماجه أيضاً، والترمذي في الشمائل بلفظ: «لما وجد رسول الله ﷺ من كرب الموت ما وجد قالت فاطمة واكرب أبتاه» الحديث كذا في الأطراف، ومناسبة إيراده في باب الصبر صبره ﷺ على ما هو فيه من سكرات الموت، وشدائده، ورضاه بذلك، وتسكين ما نزل بالسيدة فاطمة من مشاهدة ذلك بقوله: لا كرب على أبيك بعد اليوم. أي: فهذا التعب الشديد يحتمل لقصر زمانه، بل هو محبوب، لكونه فعل الله سبحانه، ولما يترتب عليه من الوصول إلى منازل الأحباب، ونزل الكريم التي أعدها لنبيه، فلا يعلم أدناها فضلاً عن أعلاها غير من أولاه إياها.

٢٩ ــ (**وعن أبي زيد**) وقيل: كنيته أبو محمد، وقيل أبو يزيد. وقيل أبو خارجة (**أسامة**) بضم الهمزة بعدها سين مهملة (**ابن زيد بن حارثة**) بمهملتين بينهما ألف وبعد الثانية مثلثة ابن شراحيل بن كعب بن عبد العزيز بن زيد بن امرىء القيس بن عامر بن النعمان بن عامر بن عبد ود بن عوف بن كنانة بن بكر بن عوف بن عذرة بن زيد اللات بن رفيدة بن ثور بن كلب الكلبي نسبا، الهاشمي ولاء، كما قال المصنف: (**مولى رسول الله ﷺ**) ولاء عتاقة منه ﷺ على أبيه، وسرى منه لابنه (**وحبه وابن حبه**) بكسر الحاء فيهما أي: حبيبه. في الصحاح: الحب الحبيب مثل خدن وخدين ا هـ. روى ابن عبد البر أن النبي ﷺ قال: «إن أسامة لأحب الناس إلي. أو من أحب الناس إلي، وإني لأرجو أن يكون من صالحيكم فاستوصوا به خيراً» وفي أسد الغابة: أن عمر رضي الله عنه لما فرض للعطاء جعل لابنه عبد الله ألفين ولأسامة خمسة آلاف. فقال له في ذلك عبد الله فقال عمر: فضلته لأنه كان أحب إلى رسول الله ﷺ منك وكان أبوه أحب إليه من أبيك. زاد صاحب الشفاء فقدمت حب رسول الله ﷺ (**رضي الله**

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب: المغازي في آخر المغازي، باب: مرض النبي ﷺ (٨/١١٣).

اللَّهُ عَنْهُمَا قالَ: أَرْسَلَتْ بِنْتُ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّ ٱبْني قَدِ ٱحْتُضِرَ فَاشْهَدْنا. فَأَرْسَلَ يُقْرِئُ السَّلَامَ وَيَقُولُ: «إِنَّ لِلَّهِ مَا أَخَذَ، وَلَهُ مَا أَعْطَى، . . . . . .

عنهما) الأولى رضي الله عنهم لأن حارثة: والد زيد صحابي أيضاً، وفي أسد الغابة روى أسامة بن زيد بن حارثة: «أن النبي ﷺ دعا حارثة إلى الإسلام فشهد أن لا إلٰه إلا الله وأن محمداً رسول الله ﷺ» أخرجه ابن مندة، وأبو نعيم ا هـ. وأم أسامة هي بركة الحبشية أم أيمن مولاة رسول الله ﷺ، وحاضنته فأيمن أخو أسامة لأمه، وأمر ﷺ أسامة على جيش فيهم عمر بن الخطاب، وأمره بالمسير إلى الشأم، فلما اشتد المرض بالنبي ﷺ، أوصى أن يسير جيش أسامة، فساروا بعد موته وقول ابن منده: «إن النبي ﷺ أمر أسامة في غزوة مؤتة» غلط. روي له عن رسول الله ﷺ مائة وثمانية وعشرون حديثاً، أخرج له منها في الصحيحين سبعة عشر حديثاً، اتفقا منها على خمسة عشر، وانفرد البخاري بحديثين، توفي بالجرف بعد قتل عثمان وحمل إلى المدينة. قال أبو عمر: الأصح عندي أنه توفي في سنة أربع وخمسين. وقيل: سنة ثمان. وقيل: سنة تسع وخمسين **(قال)** أسامة **(أرسلت بنت رسول الله ﷺ)** هي زينب كما في مصنف ابن أبي شيبة **(إليه إن ابني)** الذي استظهره الحافظ ابن حجر في فتح الباري وقال: إنه الصواب. أن المراد منه أمامة بنت زينب كما ثبت في مسند الإمام أحمد بسند الحديث المذكور عند البخاري، ولفظه: أتى النبي ﷺ بأمامة بنت زينب. ولا يشكل عليه أن أمامة عاشت بعده ﷺ حتى تزوجها علي بن أبي طالب وقتل معها، لأنه ليس في حديث الباب ما يدل على أنها قبضت حينئذ قال الحافظ ابن حجر: ولعل الله أكرم نبيه لامتثاله لأمر ربه وصبر ابنته، ولم يملك مع ذلك عينيه من الرحمة والشفقة بأن عافى ابنة ابنته في ذلك الوقت فعاشت تلك المدة وهذا ينبغي أن يذكر في دلائل النبوة ا هـ. وعلى كونه صبياً ذكراً، فيحتمل أنه ولد زينب، واسمه علي، أو عبد الله بن عثمان بن رقية، أو محسن بن علي بن فاطمة. قال الحافظ: وهذا أعني تقدير كونه ذكراً أقرب **(قد احتضر)** بالبناء للمجهول أي: حضرته مقدمات الموت **(فاشهدنا)** أي: أحضرنا **(فأرسل يقرىء السلام)** بضم أوله وهو مهموز والجملة المضارعية حال من فاعل أرسل **(ويقول: إن لله ما أخذ)** فلا ينبغي الجزع من أخذه؛ لأن صاحب الحق إذا أخذ حقه لا يجزع منه، وقدم ذكر الأخذ على الإعطاء وإن كان متأخراً في الواقع، اهتماماً بما يقتضيه المقام **(وله ما أعطى)** يعني أن الله تعالى إذا أعطى عباده شيئاً، فلا يخرج بذلك الإعطاء عن ملكه بل هو باق عليه، بخلاف إعطاء المخلوق لمثله قيل: ويحتمل أن يراد بقوله: «ما أعطى» ما أعطاه من الثواب على المصيبة، أو الحياة لمن بقي بعد الموت، أو ما هو أعم

وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِأَجَلٍ مُسَمًّى، فَلْتَصْبِرْ وَلْتَحْتَسِبْ»، فَأَرْسَلَتْ إِلَيْهِ تُقْسِمُ عَلَيْهِ لَيَأْتِيَنَّهَا، فَقَامَ وَمَعَهُ سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ وَمُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ وَأُبَيُّ بْنُ كَعْبٍ وَزَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ وَرِجَالٌ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، فَرُفِعَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ الصَّبِيُّ، فَأَقْعَدَهُ فِي حِجْرِهِ وَنَفْسُهُ تَقَعْقَعُ فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ. فَقَالَ سَعْدُ:

من ذلك، وما، في الموضعين مصدرية أي: لله الأخذ والإعطاء، ويحتمل أن تكون موصولاً اسمياً فيكون العائد محذوفاً أي: ما أخذه وما أعطاه **(وكل شيء)** بالرفع جملة ابتدائية معطوفة على الجملة قبلها، ويجوز النصب عطفاً على اسم إن، فيستحب التأكيد عليه، وقوله كل شيء أي: من الأخذ، والإعطاء، أو الأنفس، أو ما هو أعم من ذلك **(عنده)** والمراد منه عندية العلم مجازاً للملازمة بينهما **(بأجل مسمى)** أي: معلوم مقدر، فمحال أن يتقدم عليه، أو يتأخر عنه والأجل يطلق على الجزء الأخير، وعلى مجموع العمر **(فلتصبر)** على مقادير الله **(ولتحتسب)** أي: تنوي بصبرها طلب الثواب من ربها ليحب لها ذلك من عملها الصالح **(فأرسلت إليه)** أي: عقب مجيء رسول الله ﷺ إليها، كما يدل عليه العطف بالفاء التعقيبية **(تقسم عليه ليأتينها)** جاء في حديث عبد الرحمن بن عوف: أنها راجعته مرتين، وأنه قام في ثالث مرة وكأنها ألحت في ذلك لما ترجوه من دفع ما تجده من الألم عند حضوره ببركة حضوره ﷺ، وقد حقق الله رجاءها، وكان امتناعه ﷺ أولاً للمبالغة في إظهار التسليم لأمر الله، ولبيان الجواز في أن من دعي لمثل ذلك، لا تجب عليه الإجابة بخلاف الوليمة **(فقام ومعه سعد بن عبادة ومعاذ بن جبل وأبي بن كعب وزيد بن ثابت ورجال رضي الله عنهم)** الجملة حال من فاعل قام، وجملة رضي الله عنهم مستأنفة، وقد سمي منهم غير من ذكر في غير هذه الرواية عبادة بن الصامت، وأسامة راوي الحديث، وعبد الرحمن بن عوف **(فرفع)** بالراء مبني للمجهول وفي الكلام حذف دل عليه المقام. إذ تقدير الكلام، فمشوا إلى أن وصلوا إلى بيتها واستأذنوا فأذن لهم، فدخلوا فرفع **(إلى رسول الله ﷺ الصبي فأقعده)** أي: وضعه **(في حجره)** بفتح الحاء وكسرها، وسكون الجيم، الحضن **(ونفسه تقعقع)** بفتح التاء والقافين أي: تضطرب، وتتحرك. زاد في رواية للبخاري كأنها شن وفي لفظ آخر كأنها في شنة[1] **(ففاضت عيناه)** أي: النبي ﷺ. وجاء التصريح به في رواية شعبة **(فقال سعد:)** أي: ابن عبادة مستبعداً ما رآه منه،

---

(١) في المختار، الشن والشنة أي بفتح الشين القربة الخلق ا هـ. وفي شرح مسلم للمصنف: الشنة القربة البالية، ومعناه لها صوت وحشرجة كصوت الماء إذا ألقي في القربة البالية ا هـ.

يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا هَذَا؟ فَقَالَ: «هَذِهِ رَحْمَةٌ جَعَلَهَا اللَّهُ تَعَالَى فِي قُلُوبِ عِبَادِهِ» وَفِي رِوَايَةٍ «فِي قُلُوبِ مَنْ شَاءَ مِنْ عِبَادِهِ، وَإِنَّما يَرْحَمُ اللَّهُ مِنْ عِبَادِهِ الرُّحَمَاءَ» مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ. وَمَعْنَى «تَقَعْقَعُ»: تَتَحَرَّكُ وتَضْطَرِبُ[1].

٣٠ ــ وَعَنْ صُهَيْبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ . . . . . .

لما يعلمه من عادته ﷺ من مقاومة المصيبة بالصبر عليها، ووقع عند ابن ماجه: فقال عبادة بن الصامت: والصواب ما في الصحيح إن أخذ بالترجيح، وإلا فلا منافاة لإمكان صدوره من كل منهما **(يا رسول الله ما هذا)** أي: فيض الدمع وجاء في رواية: قال سعد بن عبادة: أتبكي؟ زاد أبو نعيم في المستخرج: وتنهى عن البكاء. **(فقال:)** ﷺ **(هذه)** أي: الدمعة أثر **(رحمة جعلها الله في قلوب عباده)** أي: بعض عباده بدليل قوله: **(وفي رواية قلوب من شاء من عباده)** أي: ومثل هذا الفيضان الناشىء عن حزن القلب من غير تعمد من صاحبه، ولا استدعاء، لا مؤاخذة عليه فيه، إنما النهي عن الجزع، وعدم الصبر، أوعما كان مع نوح، أو ندب **(وإنما يرحم الله من عباده الرحماء)** بالنصب على أن «ما» في إنما كافة، وبالرفع على أنها موصولة، والرحماء جمع رحيم وهو من صيغ المبالغة، وقضيته أن رحمته تعالى تختص بمن اتصف بالرحمة الكاملة بخلاف من فيه رحمة ما، لكن قضية خبر أبي داود وغيره: «الراحمون يرحمهم الرحمن» إنها تشمل كل من فيه رحمة ما إذا الراحمون جمع راحم وهذا هو الأوجه، وإنما بولغ في الأول، لأن القصد به، الرد على من استبعد جواز فيض الدمع، ولأن لفظ الجلالة فيه دال على العظمة فناسب فيه التعظيم، والمبالغة، ولما كان الرحمن يدل على المبالغة في العفو، ذكر مع كل ذي رحمة وإن قلت. قاله ابن الحوفي **(متفق عليه)** في الديبع بعد إخراج الحديث إلى قوله: «ولتحتسب» ما لفظه أخرجه الخمسة إلا الترمذي **(ومعنى تقعقع)** بفتح الفوقية والقافين، مضارع حذفت إحدى تاءيه تخفيفاً **(تتحرك وتضطرب)** والقعقعة حكاية صوت الشيء اليابس إذا حرك.

٣٠ ــ **(وعن صهيب)** بضم المهملة وفتح الهاء وسكون التحتية مصغر. تقدمت ترجمته **(رضي الله عنه)** في الحديث الثاني من أحاديث الباب **(أن)** بفتح الهمزة هي ومدخولها في

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب: الجنائز، باب: قول النبي ﷺ يعذب الميت ببكاء أهله عليه و (١٢٤/٣) وفي المرض والإيمان وغيرها من الأبواب.
وأخرجه مسلم في كتاب: الجنائز، (باب البكاء على الميت)، (الحديث: ١١).

رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «كَانَ مَلِكٌ فِيمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، وَكَانَ لَهُ سَاحِرٌ، فَلَمَّا كَبِرَ قَالَ لِلْمَلِكِ: إِنِّي قَدْ كَبِرْتُ فَابْعَثْ إِلَيَّ غُلَاماً أُعَلِّمْهُ السِّحْرَ، فَبَعَثَ إِلَيْهِ غُلَاماً يُعَلِّمُهُ، وَكَانَ فِي طَرِيقِهِ إِذَا سَلَكَ رَاهِبٌ فَقَعَدَ إِلَيْهِ وَسَمِعَ كَلَامَهُ، فَأَعْجَبَهُ، وَكَانَ إِذَا أَتَى السَّاحِرَ مَرَّ بِالرَّاهِبِ وَقَعَدَ إِلَيْهِ، فَإِذَا أَتَى السَّاحِرَ ضَرَبَهُ، فَشَكَا ذَلِكَ إِلَى الرَّاهِبِ، فَقَالَ: إِذَا خَشِيتَ السَّاحِرَ فَقُلْ: حَبَسَنِي أَهْلِي، وَإِذَا خَشِيتَ أَهْلَكَ فَقُلْ حَبَسَنِي السَّاحِرُ. فَبَيْنَمَا هُوَ عَلَى ذَلِكَ إِذْ أَتَى عَلَى

تأويل مصدر مبتدأ **خبره الظرف قبله، أي:** عن صهيب قول رسول الله، ويجوز الكسر على إضمار القول أي: **أروي عن صهيب حال كونه قائلاً** إن **(رسول الله ﷺ قال: كان ملك)** بكسر اللام أي: ذو **ملك بضم الميم (فيمن كان قبلكم)** من الأمم السابقة **(وكان له ساحر)** وعند الترمذي كان لبعض **الملوك كاهن يتكهن له.** أي والروايات يفسر بعضها بعضاً **(فلما كبر)** بكسر الموحدة أي: كبرت سنه، **أما كبر** بضم الموحدة ففي القدر قال تعالى: ﴿كبرت كلمة﴾[1] **(قال للملك: إني قد كبرت فابعث)** أي: أرسل **(إلي غلاماً)** زاد في رواية الترمذي: فهماً. أو قال: فطناً نعتان، والغلام لغة الصبي من الفطام إلى البلوغ **(أعلمه السحر)** جملة مستأنفة جواباً للسؤال المقدر وهو: ما تفعل به؟ وعند الترمذي «أعلمه علمي فإني أخاف أن أموت وينقطع عنكم هذا العلم، ولا يكون فيكم من يعلمه قال، فنظروا له على ما وصف» **(فبعث إليه غلاماً يعلمه)** ذكر القرطبي في التفسير أن الضحاك روى عن ابن عباس: «كان ملك بنجران وفي رعيته رجل له ابن، واسم الغلام عبد الله بن تامر» ثم ساق القصة بنحو ما عند مسلم **(وكان في طريقه)** أي: الغلام **(إذا سلك إلى الساحر راهب)** هو المتعبد من النصارى المتخلي من أشغال الدنيا، التارك لملاذها بالزهد فيها، الصابر على مشاقها، المعتزل عن أهلها **(فقعد)** لغلام **(إليه)** أي: إلى الراهب **(وسمع كلامه فأعجبه)** زاد الضحاك في روايته: «فدخل في دين الراهب» وعند الترمذي: «فجعل الغلام يسأل ذلك الراهب عن معبوده كلما مر به، فلم يزل حتى أخبره، فقال: «إني أعبد الله» **(وكان)** الغلام **(إذا أتى)** أي: أراد أن يصل **(إلى الساحر مر بالراهب)** لكونه في طريقه **(وقعد إليه)** لمحبته لنهجه **(فإذا أتى الساحر)** ووصل إليه **(ضربه)** وعند الترمذي: «أن الكاهن أرسل إلى أهل

---

(١) سورة الكهف، الآية: ٥.

دَابَّةٍ عَظِيمَةٍ قَدْ حَبَسَتِ النَّاسَ، فَقَالَ: الْيَوْمَ أَعْلَمُ السَّاحِرُ أَفْضَلُ أَمِ الرَّاهِبُ أَفْضَلُ؟ فَأَخَذَ حَجَراً فَقَالَ: اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ أَمْرُ الرَّاهِبِ أَحَبَّ إِلَيْكَ مِنْ أَمْرِ السَّاحِرِ فَاقْتُلْ هَذِهِ الدَّابَّةَ حَتَّى يَمْضِيَ النَّاسُ، فَرَمَاهَا فَقَتَلَهَا وَمَضَى النَّاسُ. فَأَتَى الرَّاهِبَ فَأَخْبَرَهُ فَقَالَ لَهُ الرَّاهِبُ: أَيْ بُنَيَّ أَنْتَ الْيَوْمَ أَفْضَلُ مِنِّي، قَدْ بَلَغَ مِنْ أَمْرِكَ مَا أَرَى! وَإِنَّكَ سَتُبْتَلَى، فَإِنِ . . . . . .

الغلام إنه لا يكاد يحضرني» **(فشكا ذلك إلى الراهب فقال)** أي: الراهب **(إذا خشيت الساحر)** لتخلفك عندي في الذهاب إليه **(فقل حبسني)** أي: منعني **(أهلي)** أي: شغلهم، وجوز ذلك إن قيل بإسلامه، واستقامته لأنه رأى أن مصلحة تخلفه عنده تزيد على مفسدة تلك الكذبة، فهو نظير الكذب لإصلاح الخصمين، أو أنه من باب الكذب، لانقاذ المحترم من التعدي عليه بالضرب **(وإذا خشيت أهلك)** لتخلفك عندي في العود من عند الساحر **(فقل حبسني الساحر فبينما هو على ذلك)** المذكور من التردد بين الرجلين **(إذ أتى على دابة عظيمة)** عند الترمذي قال بعضهم إن تلك الدابة كانت أسداً **(قد حبست الناس)** أي: منعتهم من المرور لخوفهم من صولتها **(فقال:)** الغلام **(اليوم أعلم الساحر أفضل أم الراهب أفضل)** أي: ينكشف لي ذلك **(فأخذ)** الغلام **(حجراً فقال: اللهم إن كان أمر الراهب)** أي: ما هو فيه الشؤون، والأمور **(أحب إليك من أمر)** أي: حال، وشأن **(الساحر فاقتل هذه الدابة)** أي: عقب وصول الحجر إليها، ليكون ذلك آية على أحبية الراهب عندك وقوله: **(حتى يمضي الناس)** يصح أن يكون غاية مترتبة على السؤال، وأن يكون علة له **(فرماها)** الغلام **(فقتلها)** بتلك الرمية، وإسناد القتل إليه مجاز عقلي، لكونه السبب الصوري في ذلك، والفاعل حقيقة هو الله سبحانه وتعالى. وفي الحديث إثبات كرامات الأولياء، وإهانة أعداء الله الأغبياء **(ومضى الناس)** أي: انطلقت ألسنتهم بالثناء عليه، بالعلم. وعند الترمذي ففزع الناس وقالوا: «قد علم هذا الغلام علماً لم يعلمه أحد» ويحتمل أن يكون المراد فمضى الناس في تلك السبيل لزوال المانع من سلوكها **(فأتى)** الغلام **(الراهب فأخبره)** فيه، وفيما بعده من جهة حكايته ﷺ له وعدم إنكاره أنه لا بأس بذكر الإنسان مفاخره، وحمد الناس له، والثناء عليه بحضوره إذا لم يترتب عليه فتنة من نحو عجب **(فقال له الراهب أي: بني أنت اليوم)** المراد منه الحين كما في يومئذ **(أفضل مني قد بلغ من أمرك ما أرى)** أي: من كمال اليقين وصدق الاعتقاد وقوله: «قد بلغ الخ» كالتعليل لما قبله **(وإنك ستبتلى)** بالبناء للمجهول ثم يحتمل أن يكون هذا منه بطريق الكشف، فيكون كرامة، أو بطريق الفراسة أو بطريق العادة والتجربة، إذ من خالف الناس في منهجهم ابتلوه وآذوه **(فإن**

ٱبْتُلِيْتَ فَلَا تَدُلَّ عَلَيَّ، وَكَانَ ٱلْغُلَامُ يُبْرِئُ الأكمَهَ وَٱلأَبْرَصَ، وَيُداوي النَّاسَ مِنْ سَائِرِ ٱلأَدْوَاءِ، فَسَمِعَ جَلِيسٌ لِلْمَلِكِ كَانَ قَدْ عَمِيَ فَأَتَاهُ بِهَدَايَا كَثِيرَةٍ، فَقَالَ: مَا هَا هُنَا لَكَ أَجْمَعُ إِنْ أَنْتَ شَفَيْتَنِي. فَقَالَ: إِنِّي لا أَشْفِي أَحَداً، إِنَّمَا يَشْفِي اللَّهُ تَعَالَى، فَإِنْ آمَنْتَ بِٱللَّهِ دَعَوْتُ اللَّهَ فَشَفَاكَ، فَآمَنَ بِاللَّهِ تَعَالَى فَشَفَاهُ

ابتليت) بالبناء للمجهول، وأتى بحرف الشك ثانياً مع تحقيقه ذلك أولاً، وتأكيده لأن ذلك بحسب ما قام عنده مما يقتضي وقوع ذلك حتى جزم به، وأخبر عما عنده منه، وما هنا باعتبار الواقع، وما يبرز في عالم الشهادة: فإن الفراسة قد تخطىء، والتجربة قد تتخلف، والكشف قد يعارض، أو قصد به التخفيف عن الغلام فلا يخاطبه بجملتين تدلان يقيناً على الابتلاء، لئلا يصير في الكرب قبل حلول البلاء **(فلا تدل)** بضم المهملة **(عليّ)** بتشديد الياء **(وكان)** أي: صار **(الغلام يبرىء الأكمه)** أي: يحصل البرء عقب علاجه فالإسناد إليه مجاز عقلي، والأكمه بفتح الهمزة وسكون الكاف هو الذي ولد أعمى **(والأبرص)** أي: من وقع به البرص داء معروف **(ويداوي الناس من سائر)** أي: جميع **(الأدواء)** أي: الأمراض والأسقام جمع داء، والجملة معطوفة على «يبرىء الخ» عطف عام على خاص، وخصا بالذكر لأنهما داءا إعياء **(فسمع)** أي: به وهي ثابتة في الحديث في نسخة مصححة من التيسير للديبع غير أني لم أرَ ذلك في أصله جامع الأصول فلعله من الكتاب **(جليس للملك كان قد عمي فأتاه)** أي: فأتى الجليس الغلام **(بهدايا كثيرة فقال)** الجليس **(ما)** أي: الذي **(ها هنا)** أي: في هذا المكان من الهدايا كائن **(لك أجمع)** تأكيد لما، أو للضمير المنتقل للظرف المستقر، وما مبتدأ خبره لك، وها هنا صلة الموصول، ورواه الديبع بلفظ: هي لك. ولعل نسخته من مسلم كانت كذلك **(إن أنت شفيتني)** أي: إن شفيتني أنت، لا غيرك كما يؤذن به المقام، فإن شرطية وفعل الشرط محذوف، ولما حذف، انفصل الضمير المتصل به، وقوله: «شفيتني» تفسير لفعل الشرط المحذوف، وجواب الشرط محذوف لدلالة سابق الكلام عليه أي: إن شفيتني فلك جميع ما ها هنا **(فقال:)** الغلام **(إني لا أشفي أحداً إنما يشفي الله تعالى)** بفتح حرف المضارعة فيهما، والجملة الثانية مؤكدة لمضمون ما قبلها، أي: إذا كان لا يشفي أحد إلا الله فلا أشفي أحداً، إذ لا شفاء إلا شفاؤه سبحانه، وحذف المفعول من يشفي لعدم تعلق الغرض به نحو: زيد يعطي ويمنع. لبيان أنه يقع منه هذان الصنفان من غير تعرض لبيان المعطي والممنوع، أو للتعميم **(فإن آمنت بالله دعوت الله فشفاك)** من عماك الحسي كما شفاك بالإيمان من عماك المعنوي **(فآمن)** أي: الجليس **(بالله تعالى)** عقب قول

اللَّهُ، فَأَتَى ٱلْمَلِكَ فَجَلَسَ إِلَيْهِ كَمَا كَانَ يَجْلِسُ، فَقَالَ لَهُ ٱلْمَلِكُ: مَنْ رَدَّ عَلَيْكَ بَصَرَكَ؟ قَالَ: رَبِّي. قَالَ: أَوَلَكَ رَبٌّ غَيْرِي؟ قَالَ: رَبِّي وَرَبُّكَ اللَّهُ، فَأَخَذَهُ فَلَمْ يَزَلْ يُعَذِّبُهُ حَتَّى دَلَّ عَلَى ٱلْغُلَامِ. فَجِيءَ بِٱلْغُلَامِ فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ: أَيْ بُنَيَّ قَدْ بَلَغَ مِنْ سِحْرِكَ مَا تُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ، وَتَفْعَلُ وَتَفْعَلُ! فَقَالَ: إِنِّي لا أَشْفِي أَحَداً إِنَّما يَشْفِي اللَّهُ تَعَالَى. . . . . .

الغلام لسبق العناية به، وليترتب عليه ما سبق ترتبه عليه في علم الله سبحانه **(فشفاه الله)** أي: حصل له الشفاء الموعود بترتبه على الإيمان ليزداد يقينه، وزاد الترمذي: «أنه أخذ عليه العهد إن رجع إليه بصره، أن يؤمن بالذي رده عليه، فقال: نعم، فدعا الله تعالى فرد عليه بصره، فآمن الأعمى» وما في الصحيح مقدم على ما في غيره عند التعارض **(فأتى)** الجليس **(الملك)** بكسر اللام **(فجلس)** مفضياً **(إليه)** جلوساً **(كما كان يجلس)** أي: إن جلوسه بعد شفائه مماثل لجلوسه قبل حلول دائه **(فقال له الملك: من رد عليك بصرك)** أي: إدراكك للمبصرات **(قال ربي)** أي: رده ربي، أو ربي رده، فالأول مراعاة للخبر، والثاني للمبتدأ **(قال:)** يعني الملك **(ولك رب غيري؟)** بتقدير همزة الاستفهام الإنكاري قبل العاطف أي: أو لك رب غيري **(قال)** يعني الجليس **(ربي)** أي: مالكي ومربي بألطافه **(وربك)** كذلك **(الله)** خبر عن قوله ربي لأن المختلف فيه بينهما تعيينه ففيه قصر قلب **(فأخذه فلم يزل)** الملك **(يعذبه)** بتشديد الذال والتضعيف: إما باعتبار أنواع العذاب، أو باعتبار شدته، وغلظه، ليدل على من علمه ما هو فيه **(حتى)** غائية **(دل على الغلام فجيء بالغلام)** أي: فأمر بالغلام فجيء به، ووضع الظاهر موضع المضمر دفعا لإيهامه أن المراد فأتى بالجليس **(فقال له الملك: أي بني)** بضم الموحدة، وفتح النون، وكسر التحتية المشددة، ويجوز فتحها أصله «بنيو» اجتمعت الواو والياء وسبقت إحداهما بالسكون فأبدلت الواو ياء، وأدغمت في مثلها ثم أضيف للياء فاجتمعت ثلاث ياءات فحذفت الثالثة تخفيفاً، وكسرت الثانية في لغة، للدلالة على المحذوفة، وفتحت وسكنت في أخرى تخفيفاً. قاله على سبيل التلطف به، أو على ما جرت به العادة من مخاطبة الكبير للصغير **(قد بلغ من سحرك ما)** موصول اسمي أو نكرة موصوفة **(تبرىء الأكمه والأبرص وتفعل وتفعل)** كناية عن كثرة تصرفاته ومزيد أعماله، وفي نسخة: وتفعل ما تفعل **(فقال إني لا أشفي أحداً)** رد لما يفهم من كلام الملك حيث نسب إليه إبراء المريض دون الله عز وجل، ثم أثبت الغلام ذلك لله وحده بقوله: **(إنما يشفي الله تعالى)** فهو قصر قلب، وما كافة، وإنما أداة حصر على الصحيح كما تقرر في

فَأَخَذَهُ فَلَمْ يَزَلْ يُعَذِّبُهُ حَتَّى دَلَّ عَلَى الرَّاهِبِ، فَجِيءَ بِالرَّاهِبِ فَقِيلَ لَهُ ارْجِعْ عَنْ دِينِكَ فَأَبَى، فَدَعَا بِالْمِنْشَارِ، فَوُضِعَ الْمِنْشَارُ فِي مَفْرِقِ رَأْسِهِ فَشَقَّهُ حَتَّى وَقَعَ شِقَّاهُ، ثُمَّ جِيءَ بِجَلِيسِ ٱلْمَلِكِ فَقِيلَ لَهُ ارْجِعْ عَنْ دِينِكَ فَأَبَى، فَوُضِعَ ٱلْمِنْشَارُ فِي مَفْرِقِ رَأْسِهِ فَشَقَّهُ بِهِ حَتَّى وَقَعَ شِقَّاهُ، ثُمَّ جِيءَ بِالْغُلَامِ فَقِيلَ لَهُ ارْجِعْ عَنْ دِينِكَ فَأَبَى، فَدَفَعَهُ إِلَى نَفَرٍ مِنْ أَصْحَابِهِ فَقَالَ: اذْهَبُوا بِهِ إِلَى جَبَلِ كَذَا وَكَذَا فَاصْعَدُوا بِهِ ٱلْجَبَلَ، فَإِذَا بَلَغْتُمْ ذِرْوَتَهُ فَإِنْ رَجَعَ عَنْ دِينِهِ وَإِلَّا فَاطْرَحُوهُ، فَذَهَبُوا بِهِ فَصَعِدُوا بِهِ ٱلْجَبَلَ، فَقَالَ: اللَّهُمَّ ٱكْفِنِيهِمْ بِمَا شِئْتَ، فَرَجَفَ بِهِمِ ٱلْجَبَلُ فَسَقَطُوا،

الأصول **(فأخذه)** أي: أخذ الملك الصبي **(فلم يزل يعذبه)** يدل على من علمه ما هو فيه **(حتى)** غائية أي: كان غاية تعذيبه أن **(دله على الراهب فجيء بالراهب فقيل له: ارجع عن دينك)** حذف الفاعل لعدم تعلق الغرض، ودينه هو ما دل عليه كلامه، وصرح به من عبادة الله عز وجل **(فأبى)** أي: امتنع أشد الامتناع **(فدعى بالمنشار)** بالهمزة في رواية الأكثرين، وهو الأفصح، ويجوز تخفيف الهمزة وقلبها ياء وروي: «بالمنشار» بالنون لغتان صحيحتان، إذ يقال أشرت الخشبة ونشرتها **(فوضع المنشار)** بالبناء للمجهول **(في مفرق رأسه)** بكسر الراء، وسطه **(فشقه حتى وقع شقه)** على الأرض **(ثم جيء بجليس الملك فقيل له: ارجع عن دينك فأبى)** أي: امتنع أشد امتناع **(فوضع المنشار)** بالهمزة وبالنون **(في مفرق)** بفتح الميم وكسر الراء أي: مكان فرق شعر **(رأسه فشقه)** مستعيناً **(به)** أي: بالمنشار، **واستمر يشقه (حتى وقع شقاه)** بكسر الشين المعجمة أي: جانباه على الأرض **(ثم جيء بالغلام)** ولعل تأخيره حتى يرى ما فعل بصاحبه فيرجع عما هو عليه **(فقيل له: ارجع عن دينك فأبى فدفعه إلى نفر)** بفتح أوليه اسم جمع يقع على جماعة من الرجال خاصة ما بين الثلاثة إلى العشرة، **ولا واحد له** من لفظه **(من أصحابه)** أي: الملك. أي: أتباعه وخدمه أو من أصحاب الغلام، ويؤيده قوله فيما يأتي: ما فعل أصحابك، فقصد به زجرهم عن أن يقعوا فيما تسبب عنه عذابه **(فقال: اذهبوا به إلى جبل كذا وكذا)** من ألفاظ الكنايات يكنى بها عن المجهول وعما لا يراد التصريح به قاله في النهاية **(فاصعدوا به الجبل، فإذا بلغتم ذروته فإن رجع عن دينه)** فاتركوه بدليل **(وإلا فاطرحوه)** أي: وإلا يرجع فاطرحوه، فحذف فعل الشرط لدلالة سابق الكلام عليه **(فذهبوا به فصعدوا)** بكسر العين المهملة **(به)** أي: جعلوه صاعداً، أو صعدوا بسببه، أو معه **(الجبل فقال:)** الغلام **(اللهم اكفنيهم بما**

وَجَاءَ يَمْشِي إِلَى ٱلْمَلِك. فَقَالَ لَـهُ ٱلْمَلِكُ: مَا فَعَلَ أَصْحَابُكَ؟ فَقَالَ: كَفَانِيهِمُ اللَّهُ تَعَالَى، فَدَفَعَهُ إِلَى نَفَرٍ مِنْ أَصْحَابِهِ فَقَالَ: ٱذْهَبُوا بِهِ فَٱحْمِلُوهُ فِي قُرْقُورٍ وَتَوَسَّطُوا بِهِ ٱلْبَحْرَ، فَإِنْ رَجَعَ عَنْ دِينِهِ وَإِلاَّ فَٱقْذِفُوه، فَذَهَبُوا بِهِ فَقَالَ: اللَّهُمَّ ٱكْفِنِيهِمْ بِمَا شِئْتَ فَانْكَفَأَتْ بِهِمُ الـسَّفِينَةُ فَغَرِقُوا، وَجَاءَ يَمْشِي إِلى الْمَلِكِ، فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ: مَا فَعَلَ أَصْحَابُكَ؟ فَقَالَ: كَفَانِيهِمُ اللَّهُ تَعَالَى، فَقَالَ لِلْمَلِكِ: إِنَّكَ لَسْتَ بِقَاتِلِي حَتَّى تَفْعَلَ مَا آمُرُكَ بِهِ. قَالَ: مَا هُوَ؟ قَالَ: تَجْمَعُ النَّاسَ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ، وَتَصْلُبُنِي عَلَى جِذْعٍ

شئت) أي: بمشيئتك، فما مصدرية، أو موصول، أي: بالذي شئت من أنواع الكفاية إما بإهلاكهم، أو بغيره **(فرجف)** بفتح أوليه الراء فالجيم، أي: تحرك واضطرب **(بهم الجبل فسقطوا)** أي: بسبب اضطرابه. وفيه نصر من توكل على الله سبحانه، وانتصر به، وخرج عن حول نفسه وقواها **(وجاء)** الغلام **(يمشي إلى الملك)** ليريه آية الله تعالى بنصر أهل دينه ليكشف عن قلبه حجب الغواية فيرجع إلى الإيمان **(فقال الملك: ما فعل أصحابك فقال: كفانيهم الله تعالى)** وحاق سوء فعلهم بهم **(فدفعه إلى نفر)** آخرين **(من أصحابه فقال: اذهبوا به فاحملوه في قرقور)** في النهاية هي السفينة العظيمة[1] وجمعها قراقير **(وتوسطوا به البحر)** أي: ليبعد الغور فيتعذر الخلاص **(فإن رجع عن دينه)** فاتركوه **(وإلا)** أي: وإلا يرجع عنه **(فاقذفوه)** بكسر الذال المعجمة، أي ارموه بقوة **(فذهبوا به)** حتى بلغوا وسط البحر **(فقال:)** الغلام **(اللهم اكفنيهم بما شئت فانكفأت بهم السفينة)** أي: انقلبت بهم **(فغرقوا)** يحتمل أنه كان معهم في القرقور فنجاته دونهم آية، وهذا هو الأقرب ويحتمل أنه كان في قرقور آخر فغرق قرقورهم ونجا ما كان هو فيه **(وجاء)** الغلام **(يمشي إلى الملك)** ليريه الآيات الكبرى المرة بعد الأخرى ليبصر ضياء الإيمان، ولكن لا تبصر أعين العميان **(فقال له الملك: ما فعل أصحابك؟ قال كفانيهم الله تعالى فقال)** الغلام **(للملك: إنك لست بقاتلي)** أي: في أي حال من الأحوال كما يقتضيه تأكيد النفي بزيادة الباء في الخبر **(حتى تفعل)** أي: إلا في حال أن تفعل **(ما آمرك به قال)** الملك **(ما هو)** أي: أي شيء الأمر الذي تأمرني به **(قال: أن تجمع الناس في صعيد واحد)** أي: أرض واحدة ومقام واحد **(وتصلبني)** بضم اللام من الصلب وهو تعليق الإنسان للقتل، وقيل: شد صلبه على خشبة. كذا في مفردات الراغب **(على جذع)** بكسر الجيم وسكون الذال المعجمة، أي: عود من أعواد النخل،

---

(١) قوله العظيمة الذي في شرح مسلم قيل صغيرة وقيل كبيرة. ع.

ثُمَّ خُذْ سَهْماً مِنْ كِنانَتِي، ثُمَّ ضَعِ السَّهْمَ فِي كَبِدِ الْقَوْسِ ثُمَّ قُلْ بِسْمِ اللَّهِ رَبِّ الْغُلامِ ثُمَّ ارْمِنِي، فَإِنَّكَ إِذَا فَعَلْتَ ذَلِكَ قَتَلْتَنِي، فَجَمَعَ النَّاسَ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ وَصَلَبَهُ عَلَى جِذْعٍ، ثُمَّ أَخَذَ سَهْماً مِنْ كِنَانَتِهِ، ثُمَّ وَضَعَ السَّهْمَ فِي كَبِدِ الْقَوْسِ، ثُمَّ قَالَ: بِسْمِ رَبِّ الْغُلامِ، ثُمَّ رَمَاهُ فَوَقَعَ السَّهْمُ فِي صُدْغِهِ، فَوَضَعَ يَدَهُ فِي صُدْغِهِ فَمَاتَ، فَقَالَ النَّاسُ: آمَنَّا بِرَبِّ الْغُلامِ، فَأُتِيَ الْمَلِكُ فَقِيلَ لَهُ: أَرَأَيْتَ مَا كُنْتَ

وجمعه جذوع **(ثم خذ سهماً من كنانتي)** بكسر الكاف وبنونين بينهما ألف بيت السهام **(ثم ضع السهم في كبد)** بفتح فكسر، أو بفتح، أو كسر مع سكون للثاني فيهما، أي وسط **(القوس ثم قل:)** أتى بثم لتفاوت منزلة ما بعدها، وما قبلها وهي قد تستعار لذلك كما في الكشاف في قوله تعالى: ﴿ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس﴾[1] وإلا فمقتضى المقام الإتيان بالفاء؛ لأن ذلك الذكر مطلوب منه عقب وضع السهم في كبد القوس بلا مهملة **(باسم الله)** قال المصنف في شرح مسلم نقلاً عن الكتاب: إنها تكتب في هذا، وأمثاله بإثبات الألف بعد الموحدة. قال: وإنما تحذف إذا كانت البسملة بجملتها لكثرته كذلك فخفف بحذفها **(رب الغلام)** تمم به الغلام، لئلا يوهم الملك الحاضرين أن الغلام أراد بقوله باسم الله معبود ذلك الملك، أو الملك، وإن كان لفظ الجلالة لم يسم به غير الله تعالى، ونظيره ما حكي عن السحرة: ﴿قالوا آمنا برب العالمين * رب موسى وهارون﴾[2] وإلا فالجلالة أعرف الأسماء ومتعلق الأوصاف الحسنى **(ثم ارمني فإنك إذا فعلت ذلك)** المذكور **(قتلتني)** إسناد القتل إليه مجاز عقلي. أي: أتيت بما جعله الله سبباً لقتلي، وقصد الغلام من هذا الكلام إفشاء توحيد الله تعالى بين الناس وإظهار أن لا مؤثر في شيء سواه، ولم يفطن الملك لذلك لفرط غباوته **(فجمع)** الملك **(الناس في صعيد)** مقام **(واحد وصلبه)** الضمير المستكن يعود للملك، والبارز للغلام **(على جذع ثم أخذ سهماً من كنانته)** أي: كنانة الغلام **(ثم وضع السهم في كبد)** وتر **(القوس ثم قال: باسم الله رب الغلام)** أي: أرميه لأقتله **(ثم رماه فوقع السهم في صدغه)** بضم الصاد وسكون الدال المهملتين، هو ما بين العين إلى شحمة الأذن **(فوضع الغلام يده في)** أي: على **(صدغه)** لتألمه من السهم **(فمات فقال الناس:)** لما رأوا الآية العظمى الشاهدة لله تعالى بالوحدانية، وأنه الفاعل المختار، ولا فاعل سواه وأنه هو الإله **(آمنا برب الغلام، فأتى)** بصيغة المجهول **(الملك)** أي: حين وقع

---

(١) سورة البقرة، الآية: ١٩٩.

(٢) سورة الأعراف، الآية: ١٢١ و١٢٢.

تَحْذَرُ! قَدْ وَاللَّهِ نَزَلَ بِكَ حَذَرُكَ: قَدْ آمَنَ النَّاسُ، فَأَمَرَ بِالاخْدُودِ بِأَفْوَاهِ السِّكَكِ فَخُدَّتْ وَأُضْرِمَ فِيهَا النِّيرَانُ وَقَالَ مَنْ لَمْ يَرْجِعْ عَنْ دِينِهِ فَأَقْحِمُوهُ فِيهَا، أَوْ قِيلَ لَهُ آقْتَحِمْ. فَفَعَلُوا حَتَّى جَاءَت امْرَأَةٌ وَمَعَهَا صَبِيٌّ لَهَا، .....

فيما حذر منه من توحيد الله تعالى والإيمان به (**فقيل له أرأيت**) بفتح التاء أي أخبرني (**ما كنت تحذر**) ما مبتدأ، والجملة صلته، والعائد محذوف أي: تحذره، والخبر (**قد والله نزل بك حذرك**) أي: ما كنت تحذر منه من إيمان الناس وقع بك، والفصل بين قد ومدخولها بالقسم للتأكيد والاهتمام الذي يقتضيه المقام (**قد آمن الناس**) تفسير للذي كان يحذر منه (**فأمر**) بالبناء للفاعل أي: الملك، أو بالبناء للمفعول (**بالأخدود**) بضم الهمزة والدال المهملة الأولى وسكون المعجمة بينهما والواو بين الدالين (**بأفواه السكك**) الأفواه جمع فوه، والسكك بكسر أوله المهمل وفتح ثانيه، جمع سكة وهي الطرق، والمراد من أفواهها أبوابها (**فخدت**) بضم الخاء المعجمة وتشديد المهملة أي: شقت الأخاديد (**وأضرم**) بالبناء للمجهول (**فيها**) أي: في الأخدود (**النيران**) جمع نار (**وقال:**) أي: الملك (**من لم يرجع عن دينه**) أي: الإيمان الذي صار إليه (**فأقحموه**) بهمز القطع أي: القوه كرهاً (**فيها أو**) شك من الراوي (**قيل له**) أي: لمن لم يرجع عن دينه (**اقتحم**) أي: النار فالمفعول محذوف، والمراد أنه شك هل أمرهم بإلقاء من أبى، أو بأمره أن يلقي نفسه فيها (**ففعلوا**) أي: ما أمروا به من الأخدود وما بعده، واستمروا كذلك (**حتى جاءت امرأة ومعها صبي لها**) أي: في غير أوان الكلام كما أشار إليه المصنف وزاد أنه كان سنه أكبر من سن صاحب المهد، وإن كان صغيراً. **قلت** جاء في رواية عند ابن قتيبة: إنه كان ابن سبعة أشهر. ولم يذكره صاحب الابتهاج في المعراج، وذكر ابن المشاطة، وشاهد يوسف، وصاحب جريج، وعيسى ابن مريم، وقال غيره: قد تكلم في الصغر جماعة، وبلغ عده لهم عشرة، ولا ينافي خبر الصحيحين[1] لم يتكلم في المهد إلا ثلاثة، وذكر عيسى، وصاحب جريج وابن المرأة التي مر عليها بامرأة يقال لها زنت، لاحتمال أنه قاله قبل أن يعلم الزيادة أو أن المراد «من بني إسرائيل» وقد نظم الحافظ جلال الدين السيوطي أسماءهم فقال:

تكلم في المهد النبي محمد ... ويحيى وعيسى والخليل ومريم
ومبري جريج ثم شاهد يوسف ... وطفل لدى الأخدود يرويه مسلم

---

(١) سيأتي هذا الخبر في باب ضعفة المسلمين.

فَتَقَاعَسَتْ أَنْ تَقَعَ فِيهَا فَقَالَ لَهَا الْغُلامُ: يَا أُمَّهْ اصْبِرِي عَلَى ٱلْحَقِّ» رَوَاهُ مُسْلِم[١]. «ذِرْوَةُ الْجَبَلِ»: أَعْلاَهُ هِيَ بِكَسْرِ الذَّالِ الْمُعْجَمَةِ وَضَمِّهَا. و«الْقُرْقُورُ» بِضَمِّ الْقَافَيْنِ: نَوْعٌ مِنَ السُّفُنِ. وَ«الصَّعِيدُ» هُنَا: الأَرْضُ الْبَارِزَةُ. وَ«الأُخْدُودُ»: الشُّقُوقُ فِي الأَرْضِ كَالنَّهْرِ الصَّغِيرِ. وَ«أُضْرِمَ»: أُوقِدَ. وَ«انْكَفَأَتْ»: أَيْ انْقَلَبَتْ. وَ«تَقَاعَسَتْ». تَوَقَّفَتْ وَجَبُنَتْ.

وطفل عليه مر بالأمة التي يقال لها تزني ولا تتكلم[٢]
وماشطة في عهد فرعون طفلها وفي زمن الهادي المبارك يختم

قلت وقد نظمت أسماءهم في أبيات ستأتي إن شاء الله تعالى في باب فضل ضعفة المسلمين **(فتقاعست)** أي: توقفت، ولزمت موضعها، وكرهت **(أن تقع فيها)** أي: في النار **(فقال لها الغلام)** بلسانه **(يا أماه)** بسكون الهاء وهي للوقف لحقت آخر المندوب المتفجع عليه **(اصبري)** أي: على هذا العذاب فإنه يؤول إلى جزيل الثواب **(فإنك على)** الدين **(الحق)** أي: الإيمان وفي الكشاف وقيل: قال لها قعي، ولا تقاعسي وقيل: ما هي إلا غميضة. فصبرت **(رواه مسلم)** وكذا رواه الترمذي، وفيه بعض اختلاف، وزيادة، ونقص. وقوله في الحديث **(ذروته)** أي: أعلاه وهي بكسر الذال المعجمة. وضمها وجمعها ذرى بضم ففتح **(والقرقور)** بضم القافين وإسكان الراء المهملة بينهما **(نوع من السفن)** تقدم عن النهاية إنه السفينة العظيمة **(وانكفأت السفينة)** أي: انقلبت، وتقاعست بالقاف والعين والسين المهملتين، توقفت وجبنت عن ولوج الأخدود، وقضية مراعاة سياق الحديث ذكر هذه المادة آخر ما يذكر من غريب الحديث، وقد وجد كذلك في أصل قديم **(والصعيد هنا)** أي: في قوله في صعيد واحد **(الأرض البارزة)** ومن هذه المادة قوله في الحديث القدسي: «لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم قاموا في صعيد واحد» الحديث: وقيده بقوله هنا احتراز عنه في نحو قوله تعالى: ﴿فتيمموا صعيداً طيباً﴾[٣] فإن المراد منه التراب **(والأخدود بضم الهمزة الشقوق)** بضم أوليه جمع شق **(في الأرض كالنهر الصغير وأضرم)** بالضاد

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب: الزهد والرقائق، باب: قصة أصحاب الأخدود والساحر والراهب والغلام (الحديث: ٧٣).

(٢) هذا البيت ليس من كلام السيوطي بل زاده بعضهم وزاد بعضهم اثنين بقوله:
ونوح ببطن الغارفي يوم وضعه وموسى من التنور والنار تضرم

(٣) سورة النساء، الآية: ٤٣.

٣١ ــ وَعَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قالَ: مَرَّ النَّبِيُّ ﷺ عَلَى امْرَأَةٍ تَبْكِي عِنْدَ قَبْرٍ، فَقَالَ: «اتَّقِي اللَّهَ وَاصْبِرِي» فَقَالَتْ: إِلَيْكَ عَنِّي فَإِنَّكَ لَمْ تُصَبْ بِمُصِيبَتِي. وَلَمْ تَعْرِفْهُ، فَقِيلَ لَهَا إِنَّهُ النَّبِيُّ ﷺ. . . . . .

المعجمة (أوقد) وفي الحديث بيان شرف الصبر، وإنه وإن عظم في الألم، وتحمل الشدائد، فهو سهل في جنب ما أعد لصاحبه من الثواب، وفيه فضل الثبات على الدين، وإن عذب بأنواع العذاب، كما وقع من بلال في أول الإسلام، وإن كان يجوز في مثل هذه الحالة الإتيان بألفاظ الكفر مع الإيمان القلبي لعذر الإكراه كما وقع من عمار بن ياسر، إلا أن ما وقع من بلال أفضل لما في الحديث: «إن مسيلمة أخذ أسيرين من أصحاب النبي ﷺ، فقال لأحدهما: ما تقول في محمد؟ فقال: رسول الله، فقال: وما تقول في؟ فقال: وأنت. فأرسله، وقال للآخر: ما تقول في محمد؟ فقال: رسول الله، فقال: وما تقول في؟ فقال: لا أدري، فلم يزل يسأله، وهو يجيبه بذلك حتى قطعه إرباً إرباً[1] فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فقال: أما أحدهما فقد أخذ برخصة الله، وأما الثاني فقد صدع بالحق فهنيئاً له» وأورد الحديث ابن كثير، وغيره في تفاسيرهم.

٣١ ــ **(وعن أنس رضي الله عنه قال: مرّ النبي ﷺ بامرأة تبكي عند قبر)** قال في فتح الباري: لم أقف على اسم المرأة، ولا على اسم صاحب القبر، وفي رواية مسلم ما يشعر بأنه ولدها، وصرح به في مرسل يحيى بن أبي كثير عن عبد الرزاق فقال: قد أصيبت بولدها **(فقال لها: اتقي الله واصبري)** وفي رواية أبي نعيم في المستخرج «فقال يا أمة الله اتقي الله» قال القرطبي: الظاهر أنها كان في بكائها قدر زائد من نوح أو غيره، ولهذا أمرها بالتقوى، قال في فتح الباري: ويؤيده أن في مرسل يحيى بن أبي كثير المذكور: «فسمع فيها ما يكره فوقف عليها» وقال الطيبي قوله: اتقي الله. توطئة لقوله واصبري، كأنه قال لها: خافي غضب الله إن لم تصبري، واصبري، ليحصل لك الثواب **(فقالت: إليك)** اسم فعل بمعنى تنح وابعد **(عني فإنك لم تصب)** بالبناء للمجهول **(بمصيبتي)** وفي رواية للبخاري: «فإنك خلو من مصيبتي» وهو بكسر الخاء وسكون اللام، ولمسلم: «وما تبالي بمصيبتي» ولأبي يعلى من حديث أبي هريرة: «أنها قالت يا عبد الله إني الحراء الثكلى، ولو كنت مصاباً لعذرتني» **(ولم تعرفه)** جملة حالية أي: خاطبته بذلك غير عارفة أنه النبي ﷺ **(فقيل لها: إنه النبي ﷺ)** وفي رواية لأبي يعلى: «فمر بها رجل فقال لها هل تعرفينه قالت لا» وللطبراني في

---

(١) بسكون الراء أي عضواً عضواً ومن الخطأ قولهم أرباً بكسر ففتح من غير تكرار. ع.

فَأَتَتْ بَابَ النَّبِيِّ ﷺ فَلَمْ تَجِدْ عِنْدَهُ بَوَّابِينَ فَقَالَتْ: لَمْ أَعْرِفْكَ! فَقَالَ: إِنَّمَا الصَّبْرُ عِنْدَ الصَّدْمَةِ الْأُولَى» مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ. وَفِي رِوَايَةٍ لِمُسْلِمٍ: «تَبْكِي عَلَى صَبِيٍّ لَهَا[1].

٣٢ ـ وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى:

الأوسط من طريق عطية عن أنس: أن الذي سألها هو الفضل بن العباس. زاد مسلم في رواية له: «فأخذها مثل الموت» أي: من شدة الكرب الذي أصابها لما عرفت أنه رسول الله ﷺ حياء منه، ومهابة **(فأتت)** للاعتذار **(باب النبي ﷺ فلم تجد عنده بوابين)** قال الطيبي: فائدة هذه الجملة أنه لما قيل لها إنه النبي ﷺ استشعرت خوفاً، وهيبة في نفسها، وتصورت أنه مثل الملوك له حاجب، أو بواب يمنع الناس من الوصول إليه، فوجدت الأمر بخلاف ما تصورته **(فقالت: لم أعرفك)** في حديث أبي هريرة: والله ما عرفتك **(فقال:)** ﷺ **(إنما الصبر)** أي: الذي يحمد عليه صاحبه كل الحمد ما كان **(عند الصدمة الأولى)** أي: عند مفاجأة المصيبة، بخلاف ما بعدها فإنه على عود الأيام يسلوا قاله الخطابي، وقال الطيبي: صدر الجواب منه ﷺ بهذا عن قولها لم أعرفك على أسلوب الحكيم، كأنه قال لها دعي الاعتذار فإني لا أغضب لغير الله، وانظري إلى نفسك في تفويتك الثواب الجزيل بعدم الصبر عند مفاجأة المصيبة. وقال ابن كثير: فائدة جواب المرأة بذلك أنها لما جاءت طائعة لما أمرها به من التقوى، والصبر معتذرة من قولها الصادر عن الحزن، بين لها أن حق هذا الصبر أن يكون في أول الحال، فهو الذي يترتب عليه الثواب: أي كماله ا هـ. **(متفق عليه)** وكذا أخرجه الترمذي، والنسائي كما في أمالي الأذكار للحافظ ابن حجر، لكن في تيسير الوصول للديبع: أخرجه الخمسة إلا النسائي، يعني الشيخين وأبا داود، والترمذي، فليحرر ذلك. **(وفي رواية)** أي: أخرى **(لمسلم تبكي على صبي لها)** وهذه الرواية هي المشار إليها في كلام فتح الباري السابق المشعرة بأن صاحب القبر كان ابناً للباكية.

٣٢ ـ **(وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: يقول الله تعالى:)** هذا من الأحاديث القدسية وهي أكثر من مائة حديث جمعها بعضهم في جزء كبير، والفرق بينه وبين القرآن أن القرآن اللفظ المنزل للإعجاز والقدسي ما أخبر الله به نبيه بالإلهام، أو رؤيا المنام، أو غيره من كيفيات الوحي، فعبر عنه ﷺ بعبارته، فلا يكون معجزاً، ولا متواتر،

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب: الجنائز، باب: زيارة القبور (٣/١٣٨).
وأخرجه مسلم في كتاب: الجنائز، باب: في الصبر على المصيبة عند الصدمة الأولى. (الحديث: ١٤).

مَا لِعَبْدِي الْمُؤْمِنُ عِنْدِي جَزَاءٌ إذا قَبَضْتُ صَفِيَّهُ مِنْ أَهْلِ الدُّنْيَا ثُمَّ احْتَسَبَهُ إلَّا الْجَنَّةُ» رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ[1].

٣٣ ــ وَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، أَنَّهَا سَأَلَتْ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَنِ الطَّاعُونِ؟ فَأَخْبَرَهَا أَنَّهُ كَانَ عَذَاباً يَبْعَثُهُ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى مَنْ يَشَاءُ فَجَعَلَهُ اللَّهُ تَعَالَى رَحْمَةً لِلْمُؤْمِنِينَ، فَلَيْسَ مِنْ عَبْدٍ يَقَعُ فِي الطَّاعُونِ فَيَمْكُثُ فِي بَلَدِهِ صَابِراً يَعْلَمُ أَنَّهُ

كالقرآن، ولذا لم يثبت له شيء من أحكامه: من حرمة حمله، ومسه على المحدث، وقراءته على الجنب، وبيعه في رواية عن أحمد، وكراهته عندنا، وحصول الثواب على كل حرف منه لقارئه بعشر حسنات وغير ذلك. ثم لروايته صيغتان تقدم ذكرهما في باب الإخلاص. وما عبر به في هذه الرواية فهو قريب من العبارة الأولى، وهي عبارة السلف التي عبر بها المصنف ثمة والله أعلم **(ما لعبدي المؤمن عندي جزاء إذا قبضت)** بفتح الموحدة **(صفيه)** أي: حبيبه لأنه يصافيه وده، ويخلصه محبته، فعيل بمعنى فاعل، أو مفعول **(من أهل الدنيا)** بيان للواقع **(ثم احتسبه)** بأن يرجو ثوابه، ويدخره عند الله تعالى، وذلك ينبيء عن الصبر، والتسليم **(إلا الجنة)** أي: دخولها مع الناجين وذلك لا ينافي الورود تحلة القسم **(رواه البخاري)** في كتاب الرقاق من صحيحه.

٣٣ ــ **(وعن عائشة رضي الله عنها)** جملة دعائية مستأنفة أو خبرية في محل الحال ونظيره فيهما جملة ﷺ، وينبغي أن يراد بهما الأول منهما لإحراز ثواب الدعاء به **(أنها سألت رسول الله ﷺ عن)** شأن **(الطاعون)** وحقيقته كما يؤخذ من الأحاديث بثر مؤلم يخرج غالباً في الأباط مع لهب واسوداد حواليه، وخفقان القلب، والقيء، وهو كما قال الحافظ ابن حجر: أخص من الوباء لأنه وخز الجن، والوباء المرض العام **(فأخبرها أنه كان عذاباً يبعثه الله على من يشاء)** في نسخة من البخاري على من شاء أي من كافر، أو عاص بارتكاب كبيرة، أو إصرار على صغيرة **(وجعله رحمة للمؤمنين)** قال الشيخ زكريا في حاشيته على البخاري أي: غير مرتكبي الكبائر. والتخصيص يحتاج للتوقيف **(فليس من عبد يقع في الطاعون)** أي: به، أو في بلده، أو هو من قبيل التجريد[2] نحو: ﴿لكم في رسول الله أسوة حسنة﴾[3] وفي رواية بحذف في **(فيمكث في بلده)** التي وقع بها الطاعون **(صابراً)** على

---

(١) اخرجه البخاري في كتاب: الرقاق، باب: العمل الذي يُبتغى به وجه الله تعالى. (٢٠٧/١١).
(٢) هذا الوجه لا أفقهه فليحرر. ع.
(٣) سورة الأحزاب، الآية: ٢١.

لا يُصِيبُهُ إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَهُ إِلَّا كَانَ لَهُ مِثْلُ أَجْرِ الشَّهِيدِ» رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ[١].

٣٤ ــ وَعَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ قَالَ: إِذَا ابْتَلَيْتُ عَبْدِي بِحَبِيبَتَيْهِ فَصَبَرَ عَوَّضْتُهُ مِنْهُمَا الْجَنَّةَ» يُرِيدُ عَيْنَيْهِ.

ما نزل به، أو ببلده (**محتسباً**) أي: راجياً للأجر، والثواب من الله (**يعلم أنه لا يصيبه**) شيء (**إلا ما كتب له**) العائد على ما محذوف (**إلا كان له مثل أجر الشهيد**) وإن مات بغير الطاعون، فإنه حيث كان موصوفاً بما أشار إليه الحديث من قصده ثواب الله، ورجائه وموعوده، عارفاً أنه لو وقع به فبتقدير الله، وإن صرف عنه فكذلك وهو غير متضجر لو وقع به، معتمداً على ربه في حال صحته، وسقمه، كان له أجر الشهيد، وإن مات بغير الطاعون، كما هو ظاهر الحديث، ويؤيده: رواية «من مات في الطاعون، فهو شهيد» ولم يقل بالطاعون، وكذا لو وجد من اتصف بهذه الصفات، ثم مات بعد انقضاء زمن الطاعون، فإن ظاهر الحديث أنه شهيد، ونية المؤمن أبلغ من عمله، أما من لم يتصف بالصفات المذكورة فإن مفهوم الحديث أنه لا يكون شهيداً وإن مات بالطاعون، ومما يستفاد من هذا الحديث أن الصابر في الطاعون المتصف بالصفات المذكورة يأمن من فتان القبر: لأنه نظير المرابطة في سبيل الله، وقد صح ذلك في المرابط كما في حديث مسلم وغيره ا هـ. ملخصاً من فتح الباري (**رواه البخاري**) وكذا أحمد، والنسائي.

٣٤ ــ (**وعن أنس رضي الله عنه قال سمعت النبي ﷺ يقول:**) جملة حالية من مفعول سمعت، وأتى بها مضارعة بعد سمع حكاية للحال الماضية (**إن الله عز وجل**) أي: عز شأنه وجل برهانه، وأتى بهما، وإن كانا في المعنى متقاربين لأن مقام الثناء مقام إطناب، وهذا حديث قدسي لأنه ﷺ روى عن ربه سبحانه أنه (**قال**) أي: بكلامه النفسي الذي هو صفة ذاته (**إذا ابتليت عبدي**) أي: عاملته معاملة المبتلي أي: المختبر، فإن الابتلاء إنما يكون من الجاهل بعواقب الأحوال، والله بكل شيء عليم، وهو يستعمل في الخير، والشر (**بحبيبتيه فصبر**) على فقدهما محتسباً لأجرهما مدخراً له عند الله تعالى (**عوضته منهما**) أي: بدلهما فهو كقوله تعالى: ﴿أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة﴾[٢] (**الجنة**) أي: مع الفائزين، أو منازل مخصوصة منها (**يريد**) أي: النبي ﷺ بحبيبتيه (**عينيه**) خصهما بذلك؛ لأنهما أحب

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب: الطب، باب: أجر الصابر في الطاعون (١٠/١٦٣، ١٦٤).

(٢) سورة التوبة، الآية: ٣٨.

رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ(١).

٣٥ ـ وَعَنْ عَطَاءِ بْنِ أَبِي رَبَاحٍ قَالَ: قَالَ لِي ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أَلَا أُرِيكَ امْرَأَةً مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ؟ فَقُلْتُ: بَلَى. قَالَ: هَذِهِ الْمَرْأَةُ السَّوْدَاءُ، أَتَتِ النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَتْ: إِنِّي أُصْرَعُ وَإِنِّي أَتَكَشَّفُ فَادْعُ اللَّهَ تَعَالَى لِي. قَالَ: «إِنْ شِئْتِ صَبَرْتِ وَلَكِ الْجَنَّةُ، . . . . . .

أعضاء الإنسان إليه (رواه البخاري) وأخرج الترمذي، وصححه من حديث أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «يقول الله عز وجل من أذهبت حبيبيه، فصبر واحتسب لم أرض له ثواباً دون الجنة» ووجه هذا الجزاء أن فاقدهما حبيس، فالدنيا سجنه حتى يدخل الجنة على ما ورد في الحديث: «الدنيا سجن المؤمن، وجنة الكافر».

٣٥ ـ (وعن عطاء) بالمهملتين المفتوحتين والمد (ابن أبي رباح) بالراء المفتوحة وبالموحدة وبالمهملة. في الكاشف للذهبي: عطاء بن أبي رباح هو أبو محمد القرشي مولاهم المكي أحد الأعلام، روى عن عائشة، وأبي هريرة، وعنه الأوزاعي، وابن جريج، وأبو حنيفة، والليث، خرج عنه الستة أي: وغيرهم، عاش ثمانين سنة ومات سنة مائة وأربع عشرة وقيل خمس عشرة ا هـ. وسأذكر زيادة على هذا في الكلام على ترجمته في رجال الشمائل أعانني الله على إتمامه (قال) عطاء (قال لي) اللام لام التبليغ (ابن عباس رضي الله عنهما: ألا) بفتح الهمزة، وتخفيف اللام، أداة عرض بدىء بها ليتوجه السامع لما بعدها (أريك امرأة) من الأراءة البصرية، ولذا تعدت المفعول فقط (من أهل الجنة) في محل الصفة لامرأة (فقلت: بلى. قال: هذه المرأة السوداء) اسمها سعيرة بضم المهملة الأولى، وفتح الثانية وسكون التحتية الأسدية، وكنيتها أم زفر بضم الزاي، وفتح الفاء، والراء آخره (أتت النبي ﷺ. فقالت:) مخبرة عما نزل بها من غير تبرم، ولا تضجر لأن البر يهدي إلى البر طالبة منه الدعاء برفع دائها (إني أصرع) بضم الهمزة من الصرع، علة معروفة (وإني أتكشف) من التفعل، وفي نسخة من الانفعال، أي: ينكشف بعض بدني من الصرع (فادع الله لي) أي: برفع الصرع الناشيء عنه التكشف (قال: إن شئت) صبرت بكسر تاء الخطاب فيهما. وصبرت مفعول شاء أي: الصبر على هذا الداء محتبة (ولك الجنة) وفي نسخة الأجر، جملة حالية أفادت فضل الصبر، وجواب الشرط محذوف أي: فاصبري،

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب: المرضى، باب: فضل من ذهب بصره (١٠/١٠٠).

وَإِنْ شِئْتِ دَعَوْتُ اللَّهَ تَعَالَى أَنْ يُعَافِيَكِ»، فَقَالَتْ: أَصْبِرُ، فَقَالَتْ: إِنِّي أَتَكَشَّفُ فَادْعُ اللَّهَ أَنْ لَا أَتَكَشَّفَ، فَدَعَا لَهَا. مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ(١).

٣٦ ـ وَعَنْ أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَحْكِي نَبِيّاً مِنَ الْأَنْبِيَاءِ صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِمْ ضَرَبَهُ قَوْمُهُ

ويجوز أن تكون جملة صبرت جواب الشرط ومفعول هاء محذوف أي: إن شئت جزيل الأجر صبرت ومثل هذا الإعراب يجري في قوله: **(وإن شئت دعوت الله تعالى أن يعافيك، فقالت)** مختارة للبلاء، والصبر عليه لجزيل الثواب المرتب عليه **(اصبر)** أي: على الصرع لأنه يرجع إلى النفس، **(و)** لما كان التكشف راجعاً لحق الله تعالى: إذ هي مأمورة بستر جميع البدن؛ لكونه عورة **(قالت إني اتكشف فادع الله لي ألا أتكشف فدعا لها)** فهي من أهل الجنة بوعد الصادق المصدوق ﷺ **(متفق عليه)** قيل: أحاديث الباب تشعر أن نفس المصائب لا ثواب فيها، إنما الثواب على الصبر عليها، والاحتساب، وقد بسطت الكلام على ذلك في باب أذكار المريض من شرح الأذكار.

٣٦ ـ **(وعن أبي عبد الرحمن)** كنية **(عبد الله بن مسعود رضي الله عنه)** ابن غافل بمعجمة وفاء ابن حبيب الهذلي. وكان ابن مسعود حالف في الجاهلية عبد الحارث بن زهرة. أسلم عبد الله قديماً بمكة سادس ستة، لما مر به ﷺ، وهو يرعى غنماً لعقبة بن أبي معيط فأراه معجزة فأسلم، ثم هاجر إلى الحبشة، ثم إلى المدينة وشهد بدراً، وبيعة الرضوان، والمشاهد كلها، وصلى للقبلتين، وكان ﷺ يكرمه، ويدنيه، ولا يحجبه، وكان مشهوراً بين الصحابة بأنه صاحب سر رسول الله ﷺ، وسواكه، ونعليه، وطهوره في السفر، وبشّره ﷺ بالجنة وقال: «رضيت لأمتي ما رضي لها ابن أم عبد. وسخطت لها ما سخط لها ابن أم عبد» وكان يشبه برسول الله ﷺ في هديه وسمته. ولي قضاء الكوفة، ومالها في خلافة عمر، وصدراً من خلافة عثمان، ثم رجع إلى المدينة ومات بها. وقيل بالكوفة سنة اثنتين وثلاثين عن بضع وستين سنة، وصلى عليه الزبير ليلاً ودفنه بالبقيع بإيصائه له بذلك، لكونه ﷺ كان قد آخى بينهما. روي له ثمانمائة حديث وثمانية وأربعون حديثاً، أخرجا منها أربعة وستين، وانفرد البخاري بأحد وعشرين ومسلم بخمسة وثلاثين **(قال: كأني أنظر إلى رسول الله ﷺ**

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب: المرضى، باب: فضل من يصرع من الريح، (١٠/٩٩).
وأخرجه مسلم في كتاب: البر والصلة والآداب، باب: ثواب المؤمن فيما يصيبه من مرض أو حزق أو نحو ذلك حتى الشوكة يشاكها. (الحديث: ٥٤).

فَأَدْمُوهُ وَهُوَ يَمْسَحُ الدَّمَ عَنْ وَجْهِهِ وَيَقُولُ: «اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِقَوْمِي فَإِنَّهُمْ لَا يَعْلَمُون» مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ(١).

٣٧ ــ وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ وَأَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ:

يحكي نبياً من الأنبياء) جملة حالية أتى بها بصيغة المضارع لحكاية الحال الماضية، وبقوله: كأني أنظر الخ. إشارة لكمال استحضاره لها. قال مجاهد: وذلك النبي المحكي هو نوح عليه السلام، لكن تعقبه الحافظ في الفتح بأن ظاهر صنيع البخاري إذ أورد الحديث في أحاديث ترجمة ذكر بني إسرائيل، أن النبي من أنبيائهم فليحمل عليه **(صلوات الله وسلامه عليهم)** وقوله: **(ضربه قومه فأدموه)** بيان للمحكي، ويحتمل على بعد كونه بياناً للحكاية، فتكون الحكاية للفعل، أي أتى بفعل مثل فعل ذلك النبي المحكي فعله، والمحكي به ما وقع له ﷺ بأحد من شج رأسه، وكسر رباعيته **(وهو)** أي: ذلك النبي المحكي عنه أو رسول الله ﷺ **(يمسح الدم عن وجهه ويقول: اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون)** وفي هذه الجملة أنواع من الصبر والحكم؛ «الأول» أنه مسح دمه لئلا يصيب الأرض، فيحل بهم البلاء «الثاني» أنه قابل جهلهم بفضله فدعا لهم بالغفران. والمراد غفران ذنب تلك الجريمة منهم، إن كان الدعاء من رسول الله ﷺ لا مطلقاً، وإلا لأمنوا عن آخرهم إذ هو ﷺ مجاب الدعوة «الثالث» أنه اعتذر عن سوء فعلهم بعدم علمهم، ولا تنافي بين الدعاء بما ذكر إن كان من نوح، وقوله: ﴿لا تذر على الأرض من الكافرين ديارا﴾(٢) لإمكان حمل ما في حديث الباب على ما قبل إياسه من إيمانه وما في الآية على ما بعده **(متفق عليه)** وينبغي للسالك التحلي بما فيه، كما روي أن جندياً ضرب بعض العارفين وهو لا يعرفه، فقيل إنه فلان، فعاد إليه معتذراً، فقال إني قد أبرأت ذمتك، ودعوت لك لما ضربتني، قال: وكيف ذاك؟ قال لأنك كنت سبباً لدخولي الجنة، فلا أكون سبباً لعذابك فأكب على الشيخ، وتاب.

٣٧ ــ **(وعن أبي سعيد)** الخدري سعد بن مالك بن سنان **(وأبي هريرة)** الدوسي عبد الرحمن بن صخر **(رضي الله عنهما)** حال كونهما راويين **(عن النبي ﷺ قال:)** بيان

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب: الأنبياء، باب: (ما ذكر عن بني إسرائيل) وفي المرتدين (١٢/٢٤٩). وأخرجه مسلم في كتاب: الجهاد والسير، باب: غزوة أحد. (الحديث: ١٠٥).

(٢) سورة نوح، الآية: ٢٦.

«مَا يُصِيبُ الْمُسْلِمَ مِنْ نَصَبٍ وَلَا وَصَبٍ، وَلَا هَمٍّ وَلَا حَزَنٍ، وَلَا أَذًى وَلَا غَمٍّ حَتَّى الشَّوْكَةُ يُشَاكُهَا، إِلَّا كَفَّرَ اللَّهُ بِهَا مِنْ خَطَايَاهُ» مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ. وَ«الوَصَبُ»: الْمَرَضُ[1].

للمروي (ما يصيب) بضم أوله (المسلم) حقيقة وخص، لأن الثواب الأخروي خاص به، وهو مفعول الفعل (من نصب) بفتحتين، التعب ومن، صلة ونصب فاعله (ولا وصب) بفتحتين وجع دائم، خاص بعد عام: لما في الوجع كذلك من الشدة المؤدية إلى التضجر، والسخر بالقضاء المحبط للثواب، أو الإسلام، والعياذ بالله، أو تأكيد بعطف مترادفات، أو قريبة من الترادف اهتماماً بهذا المقام الخطير: ليكون العلم بعظم الثواب مانعاً من الوقوع في ورطة خطر الضجر (ولا هم ولا حزن) فرق بينهما، بأن الأول للمستقبل، والثاني للماضي، وقيل غير ذلك مما بينته في باب أذكار المساء، والصباح من شرح الأذكار، وقال وكيع: لم يسمع في الهم أنه كفارة إلا في هذا الحديث (ولا أذى) هو كل ما لا يلائم النفس فهو أعم الكل (ولا غم) هو أبلغ من الحزن؛ لأنه حزن يشتد بمن قام به حتى يصير بحيث يغمى عليه (حتى) ابتدائية، أو عاطفة، أو بمعنى إلى الغائية بيان وتقريب لأدنى مراتب الأذى (الشوكة) بالرفع، أو الجر (يشاكها) خبر أو حال، والضمير البارز هو المفعول الثاني على تقدير الجار، والنصب كذلك سماعي وهذا منه، أو على تضمين فعل متعد لاثنين أي: يذاقها، والأول مضمر نائب الفاعل يعود على المسلم من شكته أدخلت في جسده شوكة (إلا كفر الله) استثناء من أعم الأحوال المقدرة أي: ما حصل للإنسان في حال المصيبة حال من الأحوال إلا الحالة التي يكفر الله (بها) أي: بسببها (من خطاياه) ابتدائية، أو تبعيضية قيل: وهو أولى لأن بعض الذنوب لا تكفر بذلك، كحق الآدمي، والكبائر (متفق عليه) وأخرجه الترمذي. وفيه أن الأمراض، وغيرها من المؤذيات التي تصيب المؤمن مطهرة له من الذنوب، وأنه ينبغي للإنسان ألا يجمع على نفسه بين ضررين عظيمين الأذى الحاصل، وتفويت ثوابه، وقد ورد مرفوعاً: المصاب من حرم الثواب (والوصب المرض) أي: الدائم كما تقدم، أو الشديد الكثير الأوجاع، قال في الصحاح: قد وصب[2] الرجل يوصب فهو وصب وأوصبه الله فهو موصب. والوصب المرض الشديد الكثير الأوجاع اهـ.

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب: المرضى، باب: ما جاء في كفارة المرض (١٠/٩١).

وأخرجه مسلم في كتاب: البر والصلة والآداب، باب: ثواب المؤمن فيما يصيبه من مرض أو حزن أو نحو ذلك حتى الشوكة يشاكها. (الحديث: ٥٢).

(٢) أي من باب تعب. ع.

٣٨ ــ وَعَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: دَخَلْتُ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ وَهُوَ يُوعَكُ، فَقُلْتُ: يا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّكَ تُوعَكُ وَعْكاً شديداً، قَالَ: «أَجَلْ إِنِّي أُوعَكُ كَمَا يُوعَكُ رَجُلانِ مِنْكُمْ، قُلْتُ: ذَلِكَ أَنَّ لَكَ أَجْرَيْن. قَالَ: «أَجَلْ ذَلِكَ كَذَلِكَ، مَا مِنْ مُسْلِمٍ يُصِيبُهُ أَذًى: شَوْكَةٌ فَمَا فَوْقَهَا إِلاَّ كَفَّرَ اللَّهُ بِهَا سَيِّئَاتِهِ، وَحُطَّتْ عَنْهُ ذُنُوبُهُ كَمَا تَحُطُّ الشَّجَرَةُ وَرَقَهَا» مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ. وَ«الْوَعْكُ»: مَغْثُ الْحُمَّى. . . . . .

---

٣٨ ــ (وعن) عبد الله (ابن مسعود رضي الله عنه قال: دخلت على النبي ﷺ) عائداً (وهو يوعك) بالبناء للمجهول من الوعك وسيأتي تفسيره في الأصل (فقلت: يا رسول الله إنك توعك) بالفوقية مبني للمفعول (وعكاً شديداً) يحتمل أنه عرف ذلك من لمس بعض أعضائه ﷺ، أو من ظهور الآثار عليه (قال: أجل) بفتحتين، وثانيه جيم وآخره لام ساكنة، وتبدل الهمزة موحدة فيقال: بجل، في الصحاح: أجل جواب مثل نعم، قال الأخفش إلا أنه أحسن من نعم في التصديق، ونعم أحسن منه في الاستفهام ا هـ. (إني) بيان للإجمال في قوله أجل (أوعك) بالبناء للمجهول (كما يوعك رجلان منكم) فالكاف مفعول مطلق، واحترز بقوله: منكم، عن نحو الأنبياء فإنه يحتمل أنه وأن وعك أشد من وعكهم ــ زيادة في علو درجته المقتضية لمزيد الابتلاء الشاهد به: «أشدكم بلاء الأنبياء» الحديث ــ إلا أنه لا يكون وعكه كوعك اثنين منهم ا هـ. والله أعلم (قلت: ذلك) أي: زيادة الوعك (أن لك) بفتح الهمزة أي: لأن لك (أجرين قال: أجل ذلك) أي: تضاعف الأجر (كذلك) أي: كتضاعف المرض، ثم ذكر الدليل على ترتب الثواب على أنواع البلاء عند حصول الصبر فقال (ما من مسلم) من مزيدة للاستغراق، فيدخل فيه الكامل وغيره (يصيبه) بضم أوله (أذى) أي: ما يتأذى به (شوكة) بدل من أذى، وذكرها لأنها أخف أنواعه، ولما كان ما فوقها تعجز العبارة عن تفصيل جميعه أجمله بقوله (فما فوقها إلا كفر الله به سيئاته) أي: الصغائر المتعلقة بحقوق الله تعالى (كما تحط الشجرة ورقها. متفق عليه) وكذا رواه أحمد كما قال الحافظ، وكذا رواه النسائي، وأخرج ابن سعد في الطبقات، والبخاري في الأدب المفرد وابن ماجه، والحاكم وصححه، والبيهقي في الشعب عن أبي سعيد قال: دخلت على رسول الله ﷺ وهو محموم، فوضعت يدي فوق القطيفة، فوجدت حرارة الحمى فوق القطيفة، فقلت: «ما أشد حماك يا رسول الله» قال: «إنا كذلك معشر الأنبياء يضاعف علينا الوجع ليضاعف الأجر» الحديث. ذكره صاحب المرقاة في شرح المشكاة (الوعك) بإسكان المهملة (مغث الحمى) أي: حرارتها، ووهنها للبدن، وإضعافها إياه. وفي مختصر النهاية

وَقِيلَ: الْحُمَّى[١].

٣٩ ـ وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ يُرِدِ اللَّه بِهِ خَيْراً يُصِبْ مِنْهُ» رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ. وضَبَطُوا «يُصَبْ» بِفَتْحِ الصَّادِ وكَسْرِهَا[٢].

٤٠ ـ وَعَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عنهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَا يَتَمَنَّيْنَ أَحَدُكُمُ

للسيوطي: إنه ألم الحمى (وقيل الحمى) وهذا الحديث يشهد للقول المختار من حصول الأجر على الأمراض، والأعراض، أي: بشرط الصبر، وعدم التبرم من القدر، والسخط منه، وقد بسطت هذا المقام في شرح الأذكار.

٣٩ ـ (وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: من يرد الله به خيراً) حالاً، ومآلاً (يصب[٣] منه) إما في بدنه، أو ماله، أو محبوبه. وفي الحديث: «المؤمن لا يخلو من علة، أو قلة، أو ذلة» وإنما كان خيراً حالاً لما فيه من اللجأ إلى المولى، ومآلاً لما فيه من تكفير السيئات، أو كتب الحسنات، أو هما جميعاً (رواه البخاري) في صحيحه، ورواه الإمام أحمد (وضبطوا) أي: شراح الحديث الصحيح (يصب) المذكور في الحديث (بفتح الصاد) أي: المهملة على البناء للمفعول، ولم يذكر الفاعل للعلم به، وأنه الله سبحانه (وكسرها) على البناء للفاعل.

٤٠ ـ (وعن أنس) بن مالك رضي الله عنه (قال: قال رسول الله ﷺ لا يتمنين) بتشديد النون (أحدكم) أي: الواحد منكم (الموت) وفي التعبير بيتمنى دون يسأل، إيماء إلى أنه قد يكون من المستحيل لعدم مجيء حينه، فحصوله حينئذ محال، وإن كان بأنواع السؤال. فسوابق الهمم لا تخرق أسوار الأقدار، والمنهي عنه على وجه التنزيه تمني الموت (لضر) بفتح الضاد المعجمة، وتضم وضبط هنا بذلك ضد النفع (أصابه) في نفسه، أو ماله، أو من يلوذ به، أو نحوه: لما يدل عليه من الجزع في البلاء وعدم الرضا بالقضاء، أما يمينه شوقاً

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب: المرضى باب: شدة المرض (١٠/٩٦).
وأخرجه مسلم في كتاب: البر والصلة والآداب، باب: ثواب المؤمن فيما يصيبه من مرض أو حزق أو نحو ذلك حتى الشوكة يشاكها (الحديث: ٤٥).

(٢) أخرجه البخاري في كتاب: المرضى باب: ما جاء في كفارة المرض (١٠/٩٤).

(٣) أي يوجه إليه مصيبة وصيبه ببلاء اهـ. منذري. وهذا التفسير يناسب ضبطه بكسر الصاد. ش.

الْمَوْتَ لِضُرٍّ أَصَابَهُ، فَإِنْ كَانَ لَا بُدَّ فَاعِلًا فَلْيَقُلْ: اللَّهُمَّ أَحْيِنِي مَا كَانَتِ الْحَيَاةُ خَيْراً لي، وَتَوَفَّنِي إِذَا كَانَتِ الْوَفَاةُ خَيْراً لي» مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ[1].

٤١ ــ وَعَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ خَبَّابِ بْنِ الْأَرَتِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنه .....

للقاء رب العالمين، أو شهادة سبيل الله أو ليدفن ببلد شريف، أو لخوف فتنة في الدين، فلا كراهة فيه، وعليه يحمل ما جاء عن كثيرين **(فإن كان)** من أصابه الضر **(لا بد)** أي: لا فراق، ولا محالة. كما في القاموس **(فاعلاً)** لتمني الموت، لما قاساه من المحن الدنيوية، التي لو كشف له عن حقائق اللطف فيها لرآها من المنح الهنية، ولو لم يكن فيها إلا رجوع العبد إلى مولاه، وخروجه عن حوله، وقواه، لكفاه، فكيف وهي سبب لتكفير الخطايا، ورفع الدرجات **(فليقل: اللهم)** يا الله. فالميم عوض من حرف النداء، ولذا امتنع جمعها إلا في ضرورة كقوله: اقول يا اللهم يا اللهما. وقد بسطت الكلام فيما يتعلق بها في باب ما يقول إذا توجه إلى المسجد من شرح الأذكار **(أحيني)** بقطع الهمزة أي: أدم لي الحياة الحسية **(ما كانت الحياة)** المسؤولة بقولي أحيني، وما مصدرية ظرفية أي: مدة كون الحياة **(خيراً لي)** بأن أوفق لمرضاة الله تعالى، وأداء عبادته، وأسلم من الخذلان والغفلة، والنسيان **(وتوفني)** أي: أمتني **(إذا كانت الوفاة خيراً لي)** بأن انعكس الأمر **(متفق عليه)** وأخرجه أبو داود، والترمذي، وابن ماجه، وابن حبان في صحيحه من طرق، وزاد في بعضها: «لضر نزل به في الدنيا» واختلف الصوفية في الأفضل: من طلب الحياة لما ورد من حديث: «طوبي لمن طال عمره وحسن عمله» ولرجاء التوبة وحسن العمل، وحصول الأمل، أو يطلب الموت نظراً إلى الشوق إلى الله، وحصول لقياه، وقد ورد: «من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه» وخوفاً من التغير، ولقاء المحن والوقوع في الفتن، والمختار التفويض، والتسليم، كما دل عليه الحديث الشريف.

٤١ ــ **(وعن أبي عبد الله)** كنية **(خباب)** بفتح المعجمة وتشديد الموحدة الأولى، وقيل: كنيته أبو محمد، وقيل: أبو يحيى **(ابن الأرت)** بفتح الهمزة والراء وتشديد الفوقية آخره ابن جندلة بن سعد بن خزيمة بن كعب بن زيد مناة بن تميم فهو **(رضي الله عنه)** تميمي في قول الأكثر، وقيل: خزاعي، وقال بعضهم: أنه تميمي النسب، خزاعي الولاء زهري الحلف،

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب: المرضى باب تمني المريض الموت (١٠/١٠٧ و١٠٨).
وأخرجه مسلم في كتاب: الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب: تمني كراهة الموت لضر نزل به (الحديث: ١٠).

قَالَ: شَكَوْنَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ مُتَوَسِّدٌ بُرْدَةً لَهُ فِي ظِلِّ الْكَعْبَةِ فَقُلْنَا: أَلَا تَسْتَنْصِرُ لَنَا؟ أَلَا تَدْعُو لَنَا؟ فَقَالَ: قَدْ كَانَ مَنْ قَبْلِكُمْ يُؤْخَذُ الرَّجُلُ فَيُحْفَرُ لَهُ فِي الْأَرْضِ فَيُجْعَلُ فِيهَا، ثُمَّ يُؤْتَى بِالْمِنْشَارِ فَيُوضَعُ عَلَى رَأْسِهِ فَيُجْعَلُ نِصْفَيْنِ، وَيُمْشَطُ بِأَمْشَاطِ الْحَدِيدِ مَا دُونَ

لأن مولاته أم أنمار بنت سباع الخزاعية، من حلفاء عوف بن عبد الله بن عوف بن عبد الحارث بن زهرة. وهو من السابقين إلى الإسلام، وكان سادس ستة فيه وعذب في الله تعالى، قال مجاهد: أول من أظهر إسلامه رسول الله ﷺ، وأبو بكر، وخباب، وصهيب، وبلال، وعمار، وأم عمار، فأما رسول الله ﷺ، فمنعه الله بعمه أبي طالب، وأما أبو بكر، فمنعه قومه، وأما الآخرون فألبسوهم أدرع الحديد، ثم أصبروهم في الشمس، فبلغ منهم الجهد ما شاء الله من حر الحديد، والشمس. قال الشعبي: سأل عمر بن الخطاب خباباً عما لقي من المشركين فقال يا أمير المؤمنين: انظر إلى ظهري، فقال ما رأيت كاليوم ظهر رجل، قال خباب: لقد أوقدت نار، وسجيت عليها، فما أطفأها إلا ورك ظهري. شهد بدراً، والمشاهد كلها، ولما هاجر آخى ﷺ بينه، وبين تميم مولى حراش بن الصمة، وقيل آخى بينه وبين جبر بن عتيك. مرض خباب مرضاً شديداً، روي عن قيس بن أبي حازم قال: دخلنا على خباب، وقد اكتوى سبع كيات فقال: لو ما أن رسول الله ﷺ نهانا أن ندعو بالموت، لدعوت به. ونزل الكوفة، ومات بها، وهو أول من دفن بظهر الكوفة من الصحابة، وكان موته سنة سبع وثلاثين. وقال علي رضي الله عنه لما نعي له: «رحم الله خباباً. أسلم راغباً، وهاجر طائعاً، وعاش مجاهداً، وابتلي في جسمه. ولم يضيع الله أجر من أحسن عملاً» وكان سنه حين موته ثلاثاً وسبعين سنة. روي له عن رسول الله ﷺ اثنان وثلاثون حديثاً اتفقا على ثلاثة منها، وانفرد البخاري باثنين، ومسلم بواحد، وخرج عنه أصحاب السنن **(قال: شكونا إلى رسول الله ﷺ)** أي: ما بنا من أذى الكفار، وعذابهم بدليل قوله في الرواية الثانية: وقد لقينا من المشركين شدة **(وهو متوسد بردة له)** أي: جاعلها تحت رأسه. والبردة بضم الموحدة الشملة المخططة وقيل: كساء أسود مربع فيه صور، والبردة واحد البرد. وجمعه أبراد، وأبرد وبرود كما في القاموس. والجملة حالية من رسول الله ﷺ، وكذا قوله **(في ظل الكعبة)**، ويصح أن تكون الثانية حالاً من الضمير في متوسد، فتكون متداخلة **(فقلنا:)** بيان لشكواهم إليه **(ألا)** بفتح الهمزة وتخفيف اللام، أداة استفتاح، أو عرض **(تستنصر)** أي: تسأل الله النصر **(لنا ألا تدعو لنا)** أي: بذلك، أو نحوه من كفهم عنا، ومنعهم من أذانا **(فقال)** محرضاً لهم على الصبر **(قد كان من)** بفتح الميم أي: الذين **(قبلكم)** من الأمم **(يؤخذ الرجل)** أي: المؤمن منهم، فالجملة خبر والرابط محذوف، أي:

لَحْمِهِ وَعَظْمِهِ مَا يَصُدُّهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ! واللَّهِ لَيُتِمَّنَّ اللَّهُ هَذَا الْأَمْرَ حَتَّى يَسِيرَ الرَّاكِبُ مِنْ صَنْعَاءَ إِلَى حَضْرَمَوْتَ لَا يَخَافُ إِلَّا اللَّهَ وَالذِّئْبَ عَلَى غَنَمِهِ، وَلَكِنَّكُمْ

كان الذين قبلكم يؤخذ الرجل الذي آمن منهم، ليعذب فيرجع عن إيمانه فما يرجع **(فيحفر له في الأرض)** بالبناء للمفعول، والظرف نائب الفاعل، وحذف الفاعل لعدم تعلق الغرض بعينه ويحتمل أنه مبني للفاعل أي: يحفر الآخذ، والظرف الثاني حال، أو صلة يحفر **(فيجعل فيها ثم يؤتى بالمنشار)** روي بالنون من نشرت الخشبة قال الحافظ في الفتح: وهي أشهر في الاستعمال. وبالهمزة من أشرت الخشبة بالمئشار وبإبدالها ياء إما تخفيفاً، أو من وشرت، ذكره ابن التين **(فيوضع)** أي: المئشار **(على رأسه)** فيؤشر **(فيجعل)** أي: يصير **(نصفين ويمشط)** أي: يعذب **(بأمشاط)** جمع مشط، معروف **(الحديد)** أي: يعذب بها **(ما دون لحمه وعظمه)** زيادة في تعذيبه، ليرجع عن إيمانه، وفي نسخة من البخاري: «ويمشط بأمشاط الحديد ما دون لحمه من عظم أو عصب» و **(ما يصده)** أي: يمنعه، أو يصرفه **(ذلك)** المذكور من أنواع العذاب واستعمل فيه اسم الإشارة الموضوع للبعيد مع قربه، لأن الملفوظ به لكونه عرضاً لا يبقى زمانين، كالبعيد فأشار إليه بما يشار به للبعيد **(عن دينه)** والثبات عليه، وفيه مدح الصبر على العذاب على الدين، وعدم إقرار عين الكافر بالتلفظ بكلمة الكفر وإن كانت جائزة حينئذ للإكراه كما تقدم **(والله)** فيه الحلف من غير استحلاف وهو مندوب لتأكيد ما يحتاج لتأكيده **(ليتمن)** بفتح التحتية **(هذا الأمر)** بالرفع فاعل يتم، وفي نسخة بضم التحتية، ونصب الأمر على أنه مفعول يتم أي: ليتمن الله هذا الأمر أي: دين الإسلام **(حتى يسير)** بالنصب، لأنه مستقبل بالنسبة لما قبل زمن التكلم به **(الراكب)** التقييد به جرى على الغالب من أن المسافر يكون راكباً، فلا مفهوم له والمراد الجنس فيشمل ما فوق الواحد، أو يفهم ما فوقه من باب أولى؛ لأنه إذا أمن الواحد مع انفراده، فالعدد الأولى **(من صنعاء)** بالمد مدينة عظيمة باليمن، وقيل إنها مدينة بالشام: **(إلى حضرموت)** مدينة بقرب اليمن، وهو مركب مزجي غير مصروف لذلك، وللعلمية **(لا يخاف)** أحداً **(إلا الله)** جملة حالية من فاعل يسير، والمعنى أن الإسلام يعم النواحي، فيسير المسافر لا يخشى أحداً يعذبه على إيمانه، ولا يفتنه في دينه، فلا يخاف إلا الله سبحانه **(و)** لا يخاف إلا من الأسباب العادية على أموره الدنيوية، فيخاف **(الذئب)** بكسر المعجمة بعدها تحتية بهمزة على الأصل، وقد لا تهمز، سبع معروف أن يعدو **(على غنمه)** والسارق أن يغير على ماله، ونعمه **(و)** تمام هذا الأمر أي: الإسلام، وظهوره على سائر الأديان كائن

تَسْتَعْجِلُونَ!» رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ. وَفِي رِوَايَةٍ: «وَهُوَ مُتَوَسِّدٌ بُرْدَةً وَقَدْ لَقِينَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ شِدَّةً»[١].

ألبتة[٢] **(لكنكم تستعجلون)** أي: تطلبون العجلة في الأمور، ولكل شيء في علم الله أوان، وإذا جاء الأوان يجيء، وقد وقع ما أخبر به المصطفى ﷺ كما أخبر، فعم الإسلام، وظهر، وصار الراكب لا يخشى من يفتنه، ويصده عن دينه، إنما يخشى بوائق الحدثان، وبالله المستعان، فهو من جملة علامات نبوته ﷺ، ولا يخالف هذا الحديث ما نقله ابن الأثير في أسد الغابة عن أبي صالح قال: «كان خباب قيناً يصنع السيوف، وكان رسول الله ﷺ يألفه ويأتيه، فأخبرت مولاته بذلك فكانت تأخذ الحديدة المحماة فتضعها على رأسه فشكا ذلك إلى رسول الله ﷺ، فقال: اللهم انصر خباباً. فاشتكت مولاته أم أنمار رأسها، فكانت تعوي مثل الكلاب فقيل لها اكتوي، فكان خباب يأخذ الحديدة المحماة فيكوي بها رأسها» ا هـ. لتعدد الوقعات. واختلاف الأقوال لاختلاف الأحوال. والله أعلم **(رواه البخاري)** في علامات النبوة وفيما يأتي آنفاً، وفي كتاب الإكراه، ورواه أبو داود، والنسائي **(وفي رواية)** أي: للبخاري في باب ما لقي النبي ﷺ، وأصحابه من المشركين بمكة **(وهو متوسد بردة)** وفي نسخة ببرد أتي بها مع أنها في الرواية السابقة ليبين بها محل قوله **(وقد لقينا)** أي: معشر ضعفاء المسلمين **(من المشركين شدة)** أي: عظيمة كما يؤذن به التنوين، فكانوا يلقون بلالاً على قفاه في وقت الظهيرة، ويجعلون على صدره الصخرة العظيمة، وكانوا يلقون خباباً على ظهره على النار، وجعلوا سمية أم عمار بين جملين وأدخلوا في قبلها رمحاً، فماتت رضي الله عنهم أجمعين، ثم هذه الشدائد التي حلت بأولئك الأماجد، لكمال استعدادهم زيادة في علو درجاتهم، ورفع شأنهم، وفي الحديث الشريف: «أشد الناس بلاء الأنبياء ثم الأمثل. فالأمثل». وعلى قدر المقام يكون الابتلاء، وقد كانت قلوبهم راضية وأنفسهم بذلك مطمئنة، حتى لقد رد بعضهم جوار أقاربه الكفار، ورضي أن يعذب في الله، ويبتلى فيه مع الأخيار، وشكواهم ليست عن تضجر ولا تبرم، وإنما هي لأنهم رأوا أن في السلامة من ذلك

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب: علامات النبوة، باب: علامات النبوة في الإسلام. وباب ما لقي النبي ﷺ وأصحابه من المشركين بمكة. (١٢٦/٧).

(٢) في محيط المحيط: قوله لا أفعله ألبتة ولا أفعله بتة «والتنكير قليل» أي هذا القول قطعة واحدة لا رجعة فيه ولا تردد وهو مصدر منصوب بفعل مقدر والتاء للمبالغة وأل في البتة للجنس والمسموع قطع همزتها على غير القياس وحكم سيبويه بأن أل فيها لازمة. ع.

٤٢ ـ وَعَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: لَمَّا كَانَ يَوْمُ حُنَيْنٍ، آثَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ نَاساً فِي الْقِسْمَةِ: فَأَعْطَى الْأَقْرَعَ بْنَ حَابِسٍ مِائَةً مِنَ الْإِبِلِ، وَأَعْطَى عُيَيْنَةَ بْنَ حِصْنٍ مِثْلَ ذَلِكَ، وَأَعْطَى نَاساً مِنْ أَشْرافِ الْعَرَبِ وَآثَرَهُمْ يَوْمَئِذٍ فِي الْقِسْمَةِ. فَقَالَ رَجُلٌ:

تفزعاً للعبادة، وتوجهاً إلى كمال السعادة، فأرشدهم المصطفى ﷺ إلى أن غاية الأدب، الصبر على مراد الله، والرضا بقضاء الله.

لا ينعم المرء بمحبوبه حتى يرى الراحة فيما قضى

٤٢ ـ **(وعن)** عبد الله **(بن مسعود)** الهذلي، وهو المراد إذا أطلق ابن مسعود **(رضي الله عنه قال: لما كان يوم حنين)** أي: زمن غزوتها، وهي واد بين مكة، والطائف وراء عرفات، بينه وبين مكة بضعة عشر ميلاً، وهو معروف، وكانت وقعة حنين في شوال سنة ثمان من الهجرة عقب فتح مكة **(آثر)** بالمد أي: أعطى **(رسول الله ﷺ ناساً)** من المؤلفة ومن الطلقاء، ومن رؤساء العرب يتألفهم **(في القسمة)** لغنائم هوازن **(فأعطى الأقرع)** بالقاف الساكنة بعدها مهملتان، لقب به لقرع كان في رأسه **(ابن حابس)** بالمهملة أوله وآخره وبعد الألف موحدة، وهو من سادات تميم، كان شريفاً في الجاهلية والإسلام **(مائة من الإبل وأعطى عيينة)** بضم المهملة وفتح التحتية الأولى **(ابن حصن)** بكسر المهملة الأولى وسكون الثانية، بعدها نون، ابن بدر الفزاري **(مثل ذلك)** مفعول ثان، ويحتمل أن يكون مفعولاً مطلقاً، أي: إعطاء مثل ذلك الإعطاء، والأول أقرب **(وأعطى ناساً من أشراف العرب)** والطلقاء، وضعفاء الإيمان **(وآثرهم)** أي: أعطاهم عطايا نفيسة **(يومئذ)** أي: يوم حنين **(في القسمة)** لغنائمها تألفاً لهم، وترك أقواماً اعتماداً على ما وقر في قلوبهم من نور الإيمان وشمس العرفان، وفي الحديث الصحيح عن سعد مرفوعاً: «إني لأعطي الرجل وغيره أحب إلي منه مخافة أن يكبه الله في النار على وجهه» والناس قال الراغب في مفرداته: قيل أصله أناس، فحذف فاؤه لما أدخل عليه أل. قلت: وتقدم مثله عن البيضاوي، والناس قد يذكر ويراد به الفضلاء دون من يتناوله اسم الناس تجوزاً وذلك إذا اعتبر معنى الإنسانية، وهو وجود العقل، والذكر، وسائر القوى المختصة به فإن كل شيء عدم وصفه المختص به لا يكاد يستحق اسمه ا هـ. **(فقال رجل:)** هذا لفظ مسلم. وعند البخاري: «فقال رجل من الأنصار هذه قسمة ما أريد بها وجه الله» فقال ﷺ: «لقد أوذي موسى بأكثر من هذا فصبر» قال ابن الملقن: وقوله في البخاري إنه من الأنصار غريب. قلت: قال الشيخ زكريا في تحفة القاري: اسمه معتب بن قشير ا هـ. وهو بضم الميم وفتح المهملة وتشديد الفوقية آخره موحدة وهو من الأنصار أي: من قبيلتهم، وهو الذي روى

وَاللَّهِ إِنَّ هَذِهِ قِسْمَةٌ مَا عُدِلَ فِيهَا وَمَا أُرِيدَ فِيها وَجْهُ اللَّهِ، فَقُلْتُ: وَاللَّهِ لأُخْبِرَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، فَأَتَيْتُهُ فَأَخْبَرْتُهُ بِمَا قَالَ، فَتَغَيَّرَ وَجْهُهُ حَتَّى كَانَ كَالصِّرْفِ ثُمَّ قَالَ: «فَمَنْ يَعْدِلْ إِذَا لَمْ يَعْدِلِ اللَّهُ وَرَسُولُهُ؟»! ثُمَّ قَالَ: «يَرْحَمُ اللَّهُ مُوسَى قَدْ أُوذِيَ بِأَكْثَرَ مِنْ هَذَا فَصَبَرَ» فَقُلْتُ: لَا جَرَمَ لَا أَرْفَعُ إِلَيْهِ بَعْدَهَا حَدِيثاً مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ. وَقَوْلُهُ

عنه الزبير أنه قال: لو كان لنا من الأمر شيء ما قتلنا ها هنا. أما الذي قال أعدل يا رسول الله فاسمه ذو الخويصرة، وهو أبو الخوارج، وظاهر كلام عياض في شرح مسلم أنه هو القائل عن النبي ﷺ ما ذكر في هذا الخبر، والله أعلم. فإن صح ذلك، فيكون معنى قوله: إنه من الأنصار. أي: حلفاً، أو ولاء (والله إن هذه لقسمة ما عدل فيها وما أريد بها وجه الله) الأوجه أنه ﷺ إنما ترك قتل قائل هذا الكلام مع أن سبه ﷺ كفر يقتل به فاعله. لئلا يتحدث الناس بأنه ﷺ يقتل أصحابه فينفروا عن الإسلام فعامله معاملة غيره من المنافقين، قال القاضي عياض: وقد رأى الناس هذا الصنف في جماعتهم، وعدوه من جملتهم قال ابن مسعود: (فقلت والله لأخبرن رسول الله ﷺ) ليحذر منه، وليعلم ما أخفاه من حاله، وليس هذا من باب نقل المجالس هي بالأمانة؛ لأن ذاك في غير نحو هذا، أما هذا فمن النصيحة لله، ولرسوله، وللمؤمنين (فأتيته فأخبرته بما قال) مما يدل على حجب بصيرة قائله عن مشكاة أنواره ﷺ، وإلا فلو أشرق فيه بعض ذلك النور، لامتلأ قلبه من الخيور، وعلم أنه ﷺ الطبيب الحاذق، الذي يداوي كل سقيم، ويذهب كل ضير وألم، ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور قال ابن مسعود: (فتغير وجهه) ﷺ كما هو قضية طبع البشر عند حصول مؤذ للنفس (حتى كان) أي: صار (كالصرف) هذا لفظ رواية مسلم. وفي رواية للبخاري في باب بدء الخلق: «فغضب حتى رأيت الغضب في وجهه» (ثم قال:) راداً عليه ما نسبه إليه من عدم العدل (فمن يعدل) استفهام إنكار، فهو في معنى ما يعدل أحد (إذا لم يعدل الله ورسوله ثم قال) مبيناً أن الصفح عن عثرات اللئام سنة قديمة في الأنبياء، والمرسلين عليهم الصلاة والسلام (يرحم الله موسى) آتى به مع أن الأكثر من هديه ﷺ في الدعاء ــ أي: عند ذكر أحد من الأنبياء كما قيده به الدميري في الديباجة ــ أن يبدأ بنفسه فيقول مثلاً: غفر الله لنا ولفلان: اهتماماً بشأنه لأنه ذكر في مقام المدحة له، والتأسي به (قد أوذي بأكثر من هذا) أي: من أذى السفهاء، والجهال له ﷺ فقالوا أنه آدر[1]، وذلك منهم غاية العتو، ونهاية الاختلاق. قاله العراقي في شرح التقريب (فصبر) على أذاهم، وقابل جهلهم بحلمه، وهو ﷺ المقتبس من مشكاته كل خلق

---

(١) أي كبير الأنثيين.

«كَالصِّرْفِ» هُوَ بِكَسْرِ الصَّادِ الْمُهْمَلَةِ وَهُوَ: صِبْغٌ أَحْمَرُ[١].

٤٣ ــ وَعَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِعَبْدِهِ الْخَيْرَ عَجَّلَ لَهُ الْعُقُوبَةَ فِي الدُّنْيَا، وَإِذا أَرَادَ اللَّهُ بِعَبْدِهِ الشَّرَّ أَمْسَكَ عَنْهُ بِذَنْبِهِ حَتَّى يُوَافِيَ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»، وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إِنَّ عِظَمَ الْجَزَاءِ مَعَ عِظَمِ الْبَلاءِ، وَإِنَّ اللَّهَ

حسن (**فقلت: لا جرم**) مذهب الخليل، وسيبويه أنهما ركبا من لا وجرم وبنيا، والمعنى حق، وما بعده رفع به على الفاعلية. وقال الكسائي معناها: لا صد ولا منع، فيكون جرم اسم لا، وهو مبني على الفتح، وقيل غير ذلك وعلى القول الأول، فالتقدير حق أن (**لا أرفع إليه بعدها**) أي: هذه المرة (**حديثاً**) «يقع من أولئك فيه نفثات ألسنتهم بما تخفيه صدورهم» أي: مما لا يعود بضرر على النبي ﷺ، ولا على الإسلام، وإنما رأى ذلك لأنه رأى أن كلامه حصل منه بعض التعب للنبي ﷺ حتى رأى أثر الغضب من تلك الحمرة في بشرته الشريفة، ومع ذلك صفح عن ذلك القائل كيلا يقول الناس إن محمداً ﷺ يقتل أصحابه (**متفق عليه**) رواه البخاري في أبواب الخمس وفي الأنبياء، وفي الدعوات، وفي الأدب، ورواه مسلم في الزكاة (**وقوله**) في الحديث (**كالصرف هو بكسر الصاد المهملة**) وسكون الراء آخره فاء (**وهو صبغ أحمر**) زاد في شرح مسلم: يصبغ به الجلود قال ابن دريد، وقد يسمى الدم أيضاً صرفاً ا هـ.

٤٣ ــ (**وعن أنس رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ: إذا أراد الله بعبده**) المراد عقابه (**الخير عجل له**) في جزاء سيئاته (**العقوبة في الدنيا**) ببلاء في نفسه، أو بموت صديقه، أو بفقد ماله، ونحوه، فيكون ذلك إذا سلم من التبرم من الأقدار كفارة لجناياته فيوافي القيامة وقد خلص من تبعة الذنب ودركه، فإن لم يكن من أرباب المخالفات، ونزل به بلاء، كان زيادة في درجاته، وعليه يحمل حديث: «أشد الناس بلاء الأنبياء، ثم الأمثل فالأمثل». (**وإذا أراد الله بعبده**) المذكور (**الشر**) من العقاب والعذاب (**أمسك عنه**) الأذى (**بذنبه**) الباء بمعنى في، أو سببية، يعني أن تأخير ما ذكر عنه، وبقاءه في تبعات ذنبه من أسباب ذنبه، ففيه استدراجه من حيث لا يشعر (**حتى يوافي به**) أي: بذنبه حاملاً له على كاهله (**يوم القيامة**) فيجازى به، وأين جميع أهوال الدنيا، ومضايقها من ساعة من عذاب النار وما فيها

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب: أبواب الخمس «من أخبر صاحبه بما يقال فيه» (٨/٤٤، ٤٥).
وأخرجه مسلم في كتاب: الزكاة، باب: إعطاء المؤلفة قلوبهم على الإسلام وتصبر من قوي إيمانه (الحديث: ١٤٠).

تَعَالَى إِذَا أَحَبَّ قَوْمَاً ابْتَلاَهُمْ، فَمَنْ رَضِيَ فَلَهُ الرِّضَا، وَمَنْ سَخِطَ فَلَهُ السُّخْطُ» رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَقَالَ حَدِيثٌ حَسَنٌ[١].

من الأغلال، والأنكال. وفي الحديث الحث على الصبر على ما تجري به الأقدار، وأنه خير للناس في الحال، والمآل، فمن صبر فاز، ومن تبرم بالأقدار فقدر الله لا يرد، وفات المتبرم أعالي الدرجات، وتكفير السيئات، والله ولي التوفيق.

(و)[٢] عن أنس (**قال النبي ﷺ**:) مؤكداً لما دلّ عليه ما قبله مبيناً له (**إن عظم**) بكسر المهملة، وفتح المعجمة في المعاني (**الجزاء**) أي: الثواب في الآخرة كائن (**مع عظم البلاء**) فمن حل به خلاف ما يهواه الإنسان بالطبع من الشدائد، فليفرح بها: لما فيها من التخصيص وإجزال العطاء، فإن لم يكن من أهل مقام الرضا، فلا أقل من أن يكون من أهل مقام الصبر (**وإن الله تعالى إذا أحب قوماً ابتلاهم**) لأنه لو تركهم وزهرات الدنيا ربما استغرقت فيها قلوبهم، فاشتغلوا بها عن مربوبهم، كما وقع ذلك للكفار، وأرباب الغفلات، فمن أراد الله إقباله عليه قطع عنه العلائق وأنزل به أنواع البلايا لتقوده إلى الرجوع إلى مولاه في كل ساعة وأي نعيم يوازي نعيم الشهود، وأي جحيم يساوي الغفلة والتبعيد (**فمن رضي**) بما جرى به القدر، ولم يتبرم، ولم يتضجر (**فله الرضا**) بالاختصاص الإلهي، والفيض الرباني والثواب الجزيل، والأجر الجميل قال تعالى: ﴿هل جزاء الإحسان إلا الإحسان﴾[٣] (**ومن سخط**) من ذلك، وتبرم، من تلك المقادير جرى المقدور إذ لا مانع لما أراد سبحانه (**وله**) أي: الساخط (**السخط**) بفتحتين، أو بضم فسكون، الانتقام أو إرادته: لما فيه من معارضة الأقدار الإلهية، والاعتراض على الأحكام الربانية، وليس ذلك من شأن العبيد، والله يفعل ما يريد (**رواه الترمذي**) في جامعه (**وقال حديث حسن**) هو ما رواه العدل الضابط. غير تامهما، أو المستور، وانجبر وقد سلم من الشذوذ، والعلة، وفي معنى حديث الباب، ما أخرجه الترمذي أيضاً عن جابر قال: قال رسول الله ﷺ: «يود أهل العافية يوم القيامة حين يعطي أهل البلاء الثواب أن لو كانت جلودهم قرضت في الدنيا بالمقاريض».

---

(١) أخرجه الترمذي في كتاب: الزهد باب ما جاء في الصبر على البلاء (الحديث: ٢٣٩٨).

(٢) ظاهر المتن أن هذا قطعة مما قبله وظاهر الشرح أنه حديث مستقل وهو الذي في المنذري لكن فيه ومن سخط فله السخط، وليس فيه لفظ «جرى المقدور». ش.

(٣) سورة الرحمن، الآية: ٦٠.

٤٤ ــ وَعَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كَانَ ابْنٌ لِأَبِي طَلْحَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَشْتَكِي، فَخَرَجَ أَبُو طَلْحَةَ فَقُبِضَ الصَّبِيُّ. فَلَمَّا رَجَعَ أَبُو طَلْحَةَ قَالَ: مَا فَعَلَ ابْنِي؟ قَالَتْ أُمُّ سُلَيْمٍ، وَهِيَ أُمُّ الصَّبِيِّ: هُوَ أَسْكَنُ مَا كَانَ، فَقَرَّبَتْ لَهُ الْعَشَاءَ فَتَعَشَّى ثُمَّ أَصَابَ مِنْهَا، فَلَمَّا فَرَغَ قَالَتْ: وَارُوا الصَّبِيَّ. فَلَمَّا أَصْبَحَ أَبُو طَلْحَةَ أَتَى رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَأَخْبَرَهُ، فَقَالَ: «أَعْرَسْتُمُ اللَّيْلَةَ؟» قَالَ: نَعَمْ. قَالَ: «اللَّهُمَّ بَارِكْ

٤٤ ــ **(وعن أنس)** الأخصر وعنه **(رضي الله عنه قال: كان ابن)** هو الذي **قال له** ﷺ: «يا أبا عمير. ما فعل النغير» وحديثه ذلك عند الترمذي في شمائله. قيل كناه ﷺ بما ذكر إشارة إلى قصر عمره. وعند ابن ماجه حديث في قصة تزويج أم سليم بأبي طلحة بشرط أن يسلم وقال فيه: «فحملت فولدت غلاماً صبيحاً، فكان أبو طلحة يحبه حباً شديداً، فعاش حتى تحرك، فمرض، فحزن أبو طلحة عليه حزناً شديداً حتى تضعضع، وأبو طلحة يغدو، ويروح على رسول الله ﷺ فراح روحة فمات الصبي» **(لأبي طلحة)** اسمه زيد بن سهل الأنصاري والابن أخ لأنس من أمه أم سليم[1] **(رضي الله عنه)** الأولى رضي الله عنهما لأنه ذكر صحابيان الابن، وأبوه **(يشتكي)** أي: مريض، وليس المراد أنه صدرت منه شكوى لكن لما كان المريض يحصل منه ذلك، استعمل في كل مريض **(فخرج أبو طلحة)** أي: إلى النبي ﷺ **(فقبض)** بالبناء للمجهول **(الصبي)** زاد الإسماعيلي في روايته: فأمرت أمه أنساً. أن يدعو أبا طلحة، وألا يخبره بموت ابنه **(فلما رجع أبو طلحة)** إلى بيته جاء في رواية الإسماعيلي: وكان أبو طلحة صائماً **(قال: ما فعل ابني)** أي: ما قام به من صحة، أو زيادة مرض **(فقالت أم سليم:)** بضم المهملة مصغراً واختلف في اسمها فقيل: سهلة. وقيل: رميثة ومليكة، والغميضاء، والرميصاء **(وهي أم الصبي)** جملة معترضة **(هو أسكن ما كان)** أي: أسكن أكوانه فإنه كان في القلق، والاضطراب للنزع فذهب ذلك حينئذ، وظن أبو طلحة أنها أرادت هو أسكن من الألم لحصول العافية وفي عبارتها التوجيه **(فقربت له العشاء)** بفتح المهملة ممدوداً الطعام الذي يؤكل عند العشاء. وهو ما بين المغرب والعتمة **(فتعشى ثم أصاب منها)** أي: جامعها وفي رواية تأتي أنها تصنعت له أحسن ما كانت تصنع قبل ذلك فوقع بها **(فلما فرغ)** من حاجته **(قالت واروا)** أي: استروا **(الصبي)** بالدفن **(فلما أصبح أبو طلحة أتى رسول الله** ﷺ **فأخبره)** أي: بما عدا الجماع، بدليل قوله: **(فقال:**

(١) أي أن أم سليم هي أم أنس بن مالك فأولادها من أبي طلحة إخوة أنس بن مالك لأمه رضي الله عنهم. ش.

لَهُمَا» فَوَلَدَتْ غُلاماً، فَقَالَ لِي أَبو طَلْحَةَ: احْمِلْهُ حَتَّى تَأْتِيَ بِهِ النَّبِيَّ ﷺ وَبَعَثَ مَعَهُ بِتَمَراتٍ. فَقَالَ: «أَمَعَهُ شَيْءٌ»؟ قَالَ: نَعَمْ تَمَرَاتٌ، فَأَخَذَهَا النَّبِيُّ ﷺ فَمَضَغَهَا ثُمَّ أَخَذَهَا مِنْ فِيْهِ فَجَعَلَهَا فِي فِي الصَّبِيِّ ثُمَّ حَنَّكَهُ وَسَمَّاهُ عَبْدَ اللَّهِ. مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ(١).

وفي رِوَايَةٍ لِلْبُخَارِيِّ قَالَ ابْنُ عُيَيْنَةَ: فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الأَنْصَارِ، فَرَأَيْتُ تِسْعَةَ أَوْلَادٍ

اعرستم الليلة) المراد منه هنا الوطء، وسماه إعراساً لأنه من توابع الأعراس، ولا يقال فيه بالتشديد كذا في النهاية وهمزة الاستفهام مقدرة (**قال: نعم**) بفتح أوليه وسكون ثالثه وبكسر ثانيه في لغة كنانة وقد تبدل عينه حاء حكاه النضر بن شميل، وهي من حروف الجواب، لتصديق مخبر أو إعلام مستخبر، أو وعد طالب (**قال: اللهم**) أي: يا الله (**بارك لهما**) دعا لهما بالبركة وهي النماء، والزيادة (**فولدت**) من ذلك الوطء المدعو بالبركة فيه (**غلاماً**) هو عبد الله. قال أنس (**فقال لي أبو طلحة: احمله حتى تأتي به النبي ﷺ**) ليحل نظره الشريف عليه (**وبعث معه بتمرات**) بفتح الميم، ليحكه بها. والتحنيك بالتمر تفاؤل بالإيمان: لأنها ثمرة الشجرة التي شبهها رسول الله ﷺ بالمؤمن، ولحلاوتها أيضاً (**فقال:**) أي: النبي ﷺ وفي الكلام حذف تقديره فحملته حتى أتيت به النبي ﷺ فقال: (**أمعه شيء**) أي: يحنك به (**قال:**) أنس (**نعم**) بفتحتين فسكون (**تمرات**) مبتدأ خبره محذوف اكتفاء بذكره في السؤال أي: معه تمرات (**فأخذها النبي ﷺ فمضغها**) لتختلط بريقه الشريف، ويقدر الصبي على إساغتها، فيكون أول ما يدخل جوفه الممتضع بريق المصطفى ﷺ، فيسعد ويبارك فيه (**ثم أخذها**) أي: التمرات الممضوغات (**من فيه فجعلها في في الصبي**) أي: في فمه، ولا يخفى ما فيه من الجناس التام (**ثم حنكه**) في الصحاح: حنكت الصبي وحنكته إذا مضغت تمراً، أو غيره ثم دلكته بحنكه، والصبي محنوك ومحنك اهـ (**وسماه عبد الله**) أي: وضع له هذا الاسم ففيه فضل التسمية بذلك (**متفق عليه**) في فتح الباري: وأخرجه ابن حبان والطيالسي هذا ما اتفقا عليه (**و**) زاد (**في رواية للبخاري قال**) سفيان (**ابن عيينة**) بضم المهملة وبكسرها، اتباعاً للياء بعدها وفتح التحتية الأولى وسكون الثانية، الهلالي قرين الإمام مالك بن تابعي التابعين (**فقال رجل من الأنصار:**) هو عبابة بن رفاعة كما أخرجه سعد بن

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب: الجنائز، باب: من لم يظهر حزنه عند المصيبة وفي العقيقة، باب: تسمية المولود (٣/١٣٥، ١٣٧).

وأخرجه مسلم في كتاب: الزكاة، باب: إعطاء المؤلفة قلوبهم على الإسلام وتصبر من قوي إيمانه (الحديث: ١٤٠).

كُلُّهُمْ قَدْ قَرَؤُوا الْقُرْآنَ (يَعْنِي مِنْ أَوْلَادِ عَبْدِ اللَّهِ الْمَوْلُودِ)، وَفِي رِوَايَةٍ لِمُسْلِمٍ: مَاتَ ابْنٌ لِأَبِي طَلْحَةَ مِنْ أُمِّ سُلَيْمٍ فَقَالَتْ لِأَهْلِهَا: لَا تُحَدِّثُوا أَبَا طَلْحَةَ بِابْنِهِ حَتَّى أَكُونَ أَنَا أُحَدِّثُهُ. فَجَاءَ فَقَرَّبَتْ إِلَيْهِ عَشَاءً فَأَكَلَ وَشَرِبَ، ثُمَّ تَصَنَّعَتْ لَهُ أَحْسَنَ مَا كَانَتْ تَصَنَّعُ قَبْلَ ذَلِكَ فَوَقَعَ بِهَا، فَلَمَّا أَنْ رَأَتْ أَنَّهُ قَدْ شَبِعَ وَأَصَابَ مِنْهَا قَالَتْ:

منصور ومدد بن سعد وغيرهم، وسبق أن الأنصار لفظ إسلامي صار علماً على أولاد الأوس، والخزرج الذين نصروا النبي ﷺ والإسلام **(فرأيت تسعة أولاد كلهم)** بالرفع مبتدأ خبره جملة **(قد قرءوا القرآن)** ويجوز أن يكون كل تأكيد تسعة، وأتى بها لئلا يتوهم أنه رأى بعضاً دون بعض. وحينئذ فجملة قرءوا القرآن حالية **(يعني)** هذا لفظ أحد الرواة عن سفيان، لبيان أن الأولاد المرئيين **(من أولاد عبد الله)** بن أبي طلحة **(المولود)** من تلك الإصابة المدعو لها بالبركة، ووقع في رواية عن سفيان أنهم سبعة بتقديم السين. قال في فتح الباري وقيل: إن في إحداهما تصحيفاً، أو أن المراد بالسبعة من ختم القرآن كله، وبالتسعة من قرأ معظمه، وله[1] من الولد فيما ذكر ابن سعد وغيره من علماء الأنساب، إسحاق، وإسماعيل، وعبد الله، ويعقوب، وعمر، والقاسم، وعمارة، وإبراهيم، وعمير، وزيد ومحمد، وأربع من البنات، ويؤخذ من قول سفيان المذكور أن في قوله ﷺ لكما تجوزا: لأن ظاهره أنها في ولدهما من غير واسطة، وإنما المراد من أولاد ولدهما المدعو له بالبركة، وهو عبد الله ا هـ. **(وفي رواية أخرى لمسلم)** في صحيحه **(مات ابن لأبي طلحة من أم سليم)** الظرف الأول صفة لابن، والثاني محتمل لها والحالية **(فقالت لأهلها:)** أي: لقرابتها الذين عندها، وشعروا بوفاة ابنها **(لا تحدثوا أبا طلحة)** عند مجيئه المنزل **(بـ)** وفاة **(ابنه)** لئلا يتنغص عيشه، وهو صائم فلا ينال حاجته من الطعام **(حتى)** تعليلية، أو غائية **(أكون أنا)** تأكيد للضمير المستكن **(أحدثه، فجاء فقربت إليه عشاء)** عبر هنا بإلى لأنه منتهى التقريب، وفيما تقدم باللام إشارة إلى أنه مقصود بذلك العشاء مهيأ له كما أشار البيضاوي إلى نحوه في سورة يونس في تعدية يهدي بإلى تارة، وباللام أخرى **(فأكل وشرب ثم تصنعت له)** بتحسين الهيئة بالحلي، ونحوه **(أحسن ما كانت تصنع)** بنصب أحسن مفعول مطلق وأصل تصنع تتصنع فأدغمت إحدى التائين في الصاد المهملة هذا إن قرىء بتشديدها، فإن كانت مخففة، فإحدى التائين محذوفة دفعاً للثقل **(قبل ذلك)** الوقت وهذا يدل على كمال يقينها، وقوة صبرها **(فوقع بها)** أي: جامعها **(فلما إن)** زائدة **(رأت أنه قد شبع)** من الطعام **(وأصاب منها)** بالجماع **(قالت:)** منبهة له على أنه لا ينبغي له الحزن على موت ولده عند اطلاعه

---

(١) أي لعبد الله. ش.

يَا أَبَا طَلْحَةَ أَرَأَيْتَ لَوْ أَنَّ قَوْماً أَعَارُوا عَارِيَتَهُمْ أَهْلَ بَيْتٍ فَطَلَبُوا عَارِيَتَهُم أَلَهُمْ أَنْ يَمْنَعُوهُمْ؟ قَالَ: لاَ، فَقَالَتْ فَاحْتَسِبْ ابْنَكَ، قَالَ: فَغَضِبَ ثُمَّ قَالَ: تَرَكْتِنِي حَتَّى إِذَا تَلَطَّخْتُ ثُمَّ أَخْبَرْتِنِي بِابْنِي! فَانْطَلَقَ حَتَّى أَتى رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، فَأَخْبَرَهُ بِمَا كَانَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «بَارَكَ اللَّهُ لَكُمَا فِي لَيْلَتِكُمَا» قَالَ: فَحَمَلَتْ، قَالَ: وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ فِي سَفَرٍ وَهِيَ مَعَهُ، وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا أَتَى الْمَدِينَةَ مِنْ سَفَرٍ لاَ يَطْرُقُهَا طُرُوقاً، فَدَنَوْا مِنَ الْمَدِينَةِ فَضَرَبَهَا الْمَخَاضُ، فَاحْتَبَسَ عَلَيْهَا أَبُو طَلْحَةَ:

عليه لأنه وديعة بصدد الاسترداد **(يا أبا طلحة أرأيت)** أخبرني **(لو)** ثبت **(أن قوماً)** هو في الأصل جماعة الرجال، والأكثر في استعمال الشرع أن يراد به ما يشملهم، والنساء قاله الراغب في مفرداته **(أعاروا عاريتهم)** مفعول ثان لأعار **(أهل بيت)** مفعوله الأول **(فطلبوا عاريتهم ألهم)** أي: لأهل البيت المستعيرين، والظرف خبر مقدم مبتدؤه **(أن يمنعوهم)** أي: منعهم ويصح أن تعرب أن، ومدخولها فاعلاً للظرف، لاعتماده على الاستفهام **(قال لا)** أي: ليس لهم منعهم لأن الإعارة إباحة منافع المعار، والمعار باق على ملك المعير فله استرداده متى شاء **(قالت فاحتسب ابنك)** أي: أطلب ثواب ابنك، وأجر مصيبتك فيه من الله، ولا تدنسها بما يحبط الثواب فإنه كان عندك عارية استرده مالكه **(قال:)** أنس **(فغضب)** أبو طلحة **(وقال:)** لأم سليم **(تركتني)** بكسر التاء للمخاطبة **(حتى إذا)** وقتية **(تلطخت)** بفتح الفوقية، واللام وتشديد الطاء المهملة وسكون المعجمة، أي: تقذرت بالجماع يقال: رجل لطخ، أي: قذر **(ثم أخبرتني)** بكسر التاء **(با بني)** أي: بموته **(فانطلق)** يمشي **(حتى أتى رسول الله ﷺ فذكر له ذلك)** أي: المذكور من فعل أم سليم الدال على كمال يقينها، وحسن صبرها مما يعجز عنه كثير من الرجال **(فقال النبي ﷺ:)** داعياً لهما بما يعود نفعه عليهما لجميل فعلهما **(بارك الله لكما في ليلتكما)** أي: فيما فعلتماه فيها من الإعراس، بأن يجعله نتاجاً طيباً وثمرة حسنة **(قال)** أنس **(فحملت)** أم سليم إجابة لدعائه ﷺ بالبركة بما كان منه قوم صالحون كما تقدم عن ابن عيينة **(قال:)** أنس **(وكان رسول الله ﷺ في سفر وهي معه، وكان رسول الله ﷺ إذا أتى المدينة من سفر)** بفتح أوليه سمي بذلك؛ لأنه يسفر عن أخلاق الرجال، وسفره ﷺ من المدينة إنما كان لأداء النسك، أو الجهاد **(لا يطرقها)** بضم الراء **(طروقاً)** بضم أوليه المهملين أي: لا يأتيها ليلاً، وكل آت بالليل طارق، ونهي عن طروق المسافر أهله ليلاً، لئلا يرى منهم ما قد يكره وأيضاً فإذا وصلوا البلد نهاراً وسمع بهم أهلهم تصنعت المرأة لبعلها فيراها بمنظر حسن، بخلاف ما إذا فجأها وهي

وَانْطَلَقَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: يَقُولُ أَبو طَلْحَةَ: إِنَّكَ لَتَعْلَمُ يا رَبِّ أَنَّهُ يُعْجِبُنِي أَنْ أَخْرُجَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِذَا خَرَجَ وَأَدْخُلَ مَعَهُ إِذَا دَخَلَ، وَقَدْ ٱحْتُبِسْتُ بِمَا تَرَى، تَقُولُ أُمُّ سُلَيْمٍ: يَا أَبَا طَلْحَةَ مَا أَجِدُ الَّذِي كُنْتُ أَجِدُ، انْطَلِقْ. فَانْطَلَقْنَا وَضَرَبَهَا الْمَخَاضُ حِينَ قَدِمَا فَوَلَدَتْ غُلَاماً، فَقَالَتْ لِي أُمِّي: يا أَنَسُ لَا يُرْضِعُهُ أَحَدٌ حَتَّى

شعثة ربما كان رؤياها كذلك سبباً لفراقه لها وهذا إذا لم يترقب أهله قدومه عليهم ليلاً، وإلا كان بلغهم خبر قدومه من أول النهار فلا بأس بالطروق حينئذ **(فدنوا)** قربوا **(من المدينة فضربها المخاض)** بفتح الميم، وقرىء بكسرها في الشواذ وهو وجع الولادة **(فاحتبس عليها أبو طلحة)** أي: حبس نفسه عليها لاشتغاله بشأنها**(وانطلق رسول الله ﷺ)** في مسيره إلى المدينة **(قال:)** أنس **(يقول أبو طلحة:)** أتى بلفظ المضارع لحكاية الحال الماضية، إشارة لكمال استحضاره للقصة، وإتقانه لها **(إنك لتعلم يا رب)** بكسر الباء دليلاً على التحتية، ويجوز فتحها على أن المحذوفة الألف المنقلبة عن الياء، وضمها بناء على قطعه عن الإضافة، وجملة النداء معترضة بين الفعل، وما سد مسد مفعوليه وهو قوله: **(إنه يعجبني)** بضم التحتية **(أن أخرج مع رسول الله ﷺ إذا خرج)** من المدينة لسفر **(وأدخل معه)** المدينة، وهو بالنصب عطف على أخرج **(إذا دخل)** أي: دخلها فالمفعول محذوف، لدلالة السياق عليه **(وقد احتبست)** أي: منعت من الدخول **(بما ترى)** مما نزل بأم سليم، فأجاب الله دعوته، وكشف كربته **(قال:)** أنس مخبراً عن ذلك **(تقول أم سليم)** أي: قالت أم سليم وعدل عنه إلى المضارع لما ذكر آنفاً **(يا أبا طلحة: ما أجد الذي كنت أجد)** العائد محذوف التقدير أجده أي ما أجد ألم الوضع الذي كنت أجده قبل **(انطلق)** أمر له لأن سبب التخلف زال **(قال:)** أنس **(فانطلقنا وضربها المخاض حين قدما)** بكسر الدال أي: وقت قدوم أبي طلحة، وأم سليم المدينة مع المصطفى ﷺ **(فولدت غلاماً)** هو المسمى بعبد الله **(فقالت لي أمي:)** أم سليم، أم عبد الله المذكور فهو أخو أنس لأمه كما تقدم **(يا أنس لا يرضعه)** بضم التحتية وسكون المهملة على أن لا ناهية **(أحد)** أي: ليكون أول شيء يشق جوفه، ويدخل أمعاءه الممزوج بريق المصطفى ﷺ، فيعود عليه بخير الدارين، كما ظهر أثره في هذا الغلام بتكثير بنيه الصالحين الأتقياء الفالحين[1] قال الشاعر:

نعم الإلّه على العباد كثيرة وأجلهن نجابة الأولاد

---

(١) الفلاح الفوز وهو من «أفلح» الرباعي فاسم الفاعل منه «مفلح» لا فالح ولعل الشارع آثر التعبير به لشهرته. ع.

تَغْدُوَ بِهِ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَلَمَّا أَصْبَحَ احْتَمَلْتُهُ فَانْطَلَقْتُ بِهِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ. وَذَكَرَ تَمَامَ الْحَدِيثِ.

٤٥ ــ وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «لَيْسَ الشَّدِيدُ بِالصُّرَعَةِ، إِنَّمَا الشَّدِيدُ الَّذِي يَمْلِكُ نَفْسَهُ عِنْدَ الْغَضَبِ» مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ. و«الصُّرَعَةُ»

(حتى تغدو به) وتعرضه (على رسول الله ﷺ) والغدو سير أول النهار، والرواح السير بعد الزوال. **هذا هو الأصل فيهما، وقد** يتجوز في ذلك ومنه حديث: «من راح إلى الجمعة **في الساعة الأولى»** على **أحد الأقوال** فيه وعدي بعلى إشارة إلى أن القصد من الوصول به **إليه** عرضه عليه، **ليحل عليه نظره السعيد، فيفوز** بالخير المديد وقد حقق الله ما أرادت **(فلما أصبح)** أي: دخل **وقت الصباح ومنه قوله تعالى: ﴿فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون﴾**[1] **(احتملته فانطلقت) أمشي (به) منتهياً (إلى رسول الله ﷺ. وذكر تمام الحديث)** وفيه نحو مما في حديث **البخاري السابق أنه حنكه** بالتمر، وسماه عبد الله، قال في فتح الباري: وفي الحديث فوائد: **جواز الأخذ بالشدة، وترك** الرخصة مع القدرة عليها، والتسلية عن المصائب وتزين المرأة لزوجها، وتعرضها لطلب الجماع منه، واجتهادها في عمل مصالحه ومشروعية المعاريض الموهمة إذا دعت الضرورة إليها، ولم يترتب عليها إبطال حق مسلم. والحامل لأم سليم عليه، المبالغة في الصبر، والتسليم لأمر الله تعالى، ورجاء إخلافه عليها ما فات منها: إذ لو أعلمت أبا طلحة بالأمر في أول الحال تنكد عليه وقته، ولم تبلغ الغرض الذي أرادته فلما علم الله تعالى صدق نيتها، بلغها مناها، وأصلح لها ذريتها، وفيه إجابة دعوة النبي ﷺ، وإن من ترك شيئاً لله عوضه الله خيراً منه. وكان لأم سليم من قوة القلب، وثبات الجنان، الغاية القصوى، فكانت تشهد الحرب وتداوي الجرحى ا هـ.

٤٥ ــ **(وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: ليس الشديد)** المحمودة شديديته شرعاً **(بالصرعة إنما الشديد)** الممدوحة شديديته شرعاً **(الذي يملك نفسه)** من الوقوع في المنهيات **(عند)** وجود **(الغضب)** وقيامه به، وذلك إنما يكون لمن راض نفسه بسياسة الاتباع، واقتدى بالمصطفى في سائر الأحوال، فلم يحمله الغضب على الوقوع في أسباب الهلاك في دينه، والغضب بالتحريك لغة ضد الرضا، وسببه حصول مخالف لمراد الإنسان ممن هو دونه، وتحت يده فيحصل منه تلك الحالة المقتضية لفعل ما لا يجوز من

---

(١) سورة الروم، الآية: ١٧.

بِضَمِّ الصَّادِ وَفَتْحِ الرَّاءِ وَأَصْلُهُ عِنْدَ الْعَرَبِ: مَنْ يَصْرَعُ النَّاسَ كَثِيراً[١].

٤٦ ــ وَعَنْ سُلَيْمَانَ بْنَ صُرَدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كُنْتُ جَالِساً مَعَ النَّبِيِّ ﷺ وَرَجُلَانِ يَسْتَبَّانِ وَأَحَدُهُمَا قَدِ احْمَرَّ .....

قتل، أو ضرب، أو سب. فمن حفظ نفسه عن ذلك وقادها بزمام الشريعة، وكظم غيظه، وعفا، فاز بالدرجة العليا، وكان محموداً شرعاً، وإن انتقم بقدر ما أذن فيه الشرع من التأديب فلا بأس **(متفق عليه)** ورواه الإمام أحمد من حديث أبي هريرة أيضاً **(الصرعة بضم الصاد وفتح الراء)** المهملتين بعدهما مهملة مفتوحة **(وأصله عند العرب من يصرع الناس كثيراً)** فإن «فعلة» بضم ففتح لمن يكثر منه الفعل و «فعلة» بضم فسكون لمن يعتاد فعل ذلك الشيء به. فضحكة بوزن همزة بمعنى الفاعل لمن يكثر الضحك من الناس، وضحكة بوزن ركبة بمعنى المفعول لمن يكثر ضحك الناس عليه وسخريتهم به ذكره الكرماني. وقد بسطت ذلك في شرح الأذكار. وفي الحديث أن مجاهدة النفس أشد من مجاهدة العدو. وقد ورد أنه ﷺ قال لأصحابه لما عادوا من بعض الغزوات: «رجعتم من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر».

٤٦ ــ **(وعن سليمان بن صرد)** زاد في الأذكار فقال الصحابي **(رضي الله عنه)** وصرد بضم ففتح لأوليه، وجميع حروفه مهملة وهو خزاعي. كان اسم سليمان في الجاهلية «يسار» فسماه ﷺ «سليمان» وكان خيراً ديناً فاضلاً ذا دين وعبادة، وشرف في قومه. نزل الكوفة أول ما كوفها سعد، وقتل في حرب بينت سببه في شرح الأذكار. وحمل رأسه إلى مروان بن الحكم بالشام. وكان عمره حين قتل ثلاثاً وتسعين سنة. روي له عن رسول الله ﷺ، خمسة عشر حديثاً اتفقا منها على هذا الحديث، وانفرد البخاري عنه بحديث واحد هو قوله ﷺ: «اليوم نغزوهم ولا يغزونا» فليس له في الصحيحين سوى حديثين، وخرج عنه أصحاب السنن الأربع **(قال كنت جالساً مع النبي ﷺ ورجلان يستبان)** بفتح التحتية وسكون المهملة وفتح الفوقية وتشديد الموحدة افتعال من السب أي: يسب كل منهما صاحبه **(وأحدهما)** قال ابن حجر الهيتمي: قيل إنه معاذ، فإن صح وأنه ابن جبل تعين تأويل ما وقع منه من قوله: «هل بي من جنون» على أنه قاله من سورة الغضب من غير تأمل، قيل وهو الذي قال للنبي ﷺ: «أوصني» الحديث الآتي، ففيه أن معاذاً كان عنده سورة من الغضب **(قد احمر)**

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب: الأدب، باب: الحذر من الغضب (١٠/٤٣١).
وأخرجه مسلم في كتاب: الزهد، باب: ما جاء في الصبر على البلاء. (الحديث: ٢٣٩٦).

وَجْهُهُ وَانْتَفَخَتْ أَوْدَاجُهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنِّي لَأَعْلَمُ كَلِمَةً لَوْ قَالَهَا لَذَهَبَ عَنْهُ مَا يَجِدُ، لَوْ قَالَ: أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ الشَّيطَانِ الرَّجِيمِ ذَهَبَ عَنْهُ مَا يَجِدُ»، فَقَالُوا لَهُ: إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ تَعَوَّذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ. مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ[1].

٤٧ ـ وَعَنْ مُعَاذِ بْنِ أَنَسٍ رَضِيَ .....

بتشديد الراء **(وجهه وانتفخت أوداجه)** في النهاية: الأوداج ما أحاط بالعنق من العروق التي يقطعها الذابح وأحدها ودج، وقيل: الودجان عرقان غليظان عن جانبي ثغرة النحر، ومنه الحديث ا هـ. **(فقال رسول الله ﷺ: إني لأعلم كلمة)** المراد منها معناها اللغوي، وهي الجمل المفيدة **(لو قالها)** بصدق ويقين، ويحتمل أنه ﷺ علم أن ذلك الرجل لو قالها مطلقاً **(لذهب عنه ما يجد)** من شدة الغضب ببركة الكلمات وتأثير همته الشريفة في دفع ذلك عنه. ثم هذا الحديث الشريف مستمد من قوله تعالى: ﴿وإما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله إنه سميع عليم﴾[2] **(لو قال: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ذهب عنه ما يجد)** من شدة الغضب، وشره، والجملة بيان لما قبلها، وأعوذ معناه: ألجأ، وأعتصم، والشيطان العاتي المتمرد من شاط احترق، أو من شطن بعد، والرجيم فعيل بمعنى مفعول أي: المبعد من رحمة الله، واللام محذوفة من «لذهب» تفنناً في التعبير **(فقالوا له:)** أي: قال الصحابة لذلك الرجل المغضب **(إن النبي ﷺ قال: تعوذ بالله من الشيطان الرجيم)** هذا منهم رواية للحديث بالمعنى، لا بخصوص اللفظ والمبنى، ففيه نص على جواز ذلك للعارف به وفي الحديث تتمة سكت عنها المصنف هنا وهي إنه لما قيل له ذلك قال: «وهل بي من جنون» وفيه أن الغضب إنما يثير ناره، ويشعل لهبه الشيطان لما يترتب عليه من الضرائر في الدين، والدنيا فلذا كان دواؤه قطع سبب مادته، وهو وسواس الشيطان الرجيم بالاستعاذة منه **(متفق عليه)** ورواه أبو داود، والترمذي، والنسائي، وفي رواية لأبي داود، والترمذي، والنسائي من حديث معاذ: «اللهم إني أعوذ بك من الشيطان الرجيم» كذا في سلاح المؤمن.

٤٧ ـ **(وعن معاذ)** بضم الميم بعدها مهملة **(ابن أنس رضي الله عنه)** هو الجهني سكن

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب: بدء الخلق، باب: صفة إبليس وجنوده (٦/٢٤٢). وفي الأدب، باب: ما ينتهي من السباب واللعن وفي الحذر من الغضب.
وأخرجه مسلم في كتاب: البر والصلة والآداب، باب: فضل من يملك نفسه عند الغضب وبأي شيء يذهب الغضب. (الحديث: ١١٠).

(٢) سورة الأعراف، الآية: ٢٠٠.

اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «مَنْ كَظَمَ غَيْظاً وَهُوَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يُنْفِذَهُ، دَعَاهُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ عَلَى رُؤُوسِ الْخَلاَئِقِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يُخَيِّرَهُ مِنَ الْحُورِ الْعِينِ مَا شَاءَ» رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ وَالتِّرْمِذِيُّ وَقَال حَدِيثٌ حَسَنٌ(١).

مصر روى عنه ابنه سهل، له نسخة كبيرة عند ابنه سهل(٢) أورد منها أحمد بن حنبل في مسنده، وأبو داود، والنسائي، والترمذي، وابن ماجه، والأئمة بعدهم في كتبهم. روي له عن رسول الله ﷺ ثلاثون حديثاً (**أن النبي ﷺ قال: من كظم غيظاً**) تجرعه، واحتمل سببه، وصبر عليه، والغيظ تغير الإنسان عند احتداده، وظاهر عموم تنكير غيظاً حصول الثواب على كظم الغيظ مع القدرة على انقاذه، وإن قل (**وهو قادر على أن ينفذه**) بضم التحتية أي: يقضي ويعمل بما يدعوه إليه من ضرب المغتاظ منه، أو قتله، أو نحوه لسطوته على المغتاظ منه بملك، أو نحوه وهو قيد في حصول ثواب كظم الغيظ المذكور (**دعاه الله سبحانه**) تنزيهاً له عما لا يليق بشأنه (**وتعالى**) عن ذلك فهو كالإطناب كما سبق (**على رؤوس الخلائق**) تنويهاً بشأنه، وإعلاماً بعلو مكانه (**يوم القيامة**) ظرف لدعاه (**حتى يخيره**) بضم التحتية الأولى، وتشديد الثانية (**من الحور**) بضم المهملة وسكون الواو آخره راء أي: شديدات سواد العيون، وبياضها (**العين**) ضخام العيون كسرت عينه بدل ضمها لمجانسة الياء، مفرده عيناء كحمراء (**ما شاء**) مفعول ثان ليخير (**رواه أبو داود والترمذي**) ورواه ابن ماجه (**وقال:**) يعني الترمذي (**حديث حسن**) وعند ابن أبي الدنيا في كتاب ذم الغضب من حديث أبي هريرة مرفوعاً: «من كظم غيظاً وهو يقدر على إنفاذه ملأ الله قلبه أمناً وإيماناً» وعنده أيضاً من حديث ابن عمر: «من كف غضبه ستر الله عورته» اهـ. وقد روي أن الحسين بن علي رضي الله عنهما كان له عبد يقوم بخدمته، ويقرب إليه طهره، فقرب إليه طهره ذات يوم في كوز، فلما فرغ الحسين من طهوره رفع العبد الكوز من بين يديه فأصاب فم الكوز رباعية الحسين، فكسرها، فنظر إليه الحسين، فقال: «والكاظمين الغيظ» قال: «قد كظمت غيظي» فقال: «والعافين عن الناس» قال: «قد عفوت عنك» قال: «والله يحب المحسنين» قال: «اذهب فأنت حر لوجه الله تعالى» قال: وما جواز(٣) عتقي. قال: السيف، والدرقة فإني لا أعلم في البيت غيرهما.

---

(١) أخرجه أبو داود في كتاب: الأدب، باب: من كظم غيظاً. (الحديث: ٤٧٧٧).
وأخرجه الترمذي في كتاب: البر والصلة، باب: من كظم غيظاً. (الحديث: ٢٠٢١).
(٢) كذا بالأصول. ع.
(٣) أي جائزة. ش.

٤٨ ــ وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَجُلاً قَالَ لِلنَّبِيِّ ﷺ أَوْصِنِي، قَالَ: «لاَ تَغْضَبْ، فَرَدَّدَ مِراراً، قالَ: لا تَغْضَبْ» رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ[١].

---

٤٨ ــ **(وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رجلاً)** قال الشيخ زكريا في تحفة القاري: هو جارية بالجيم، ابن قدامة، ومنه أخذ جمع أنه صحابي، واعتمده الحافظ ابن حجر وقيل: إنه تابعي، وإن ما جاء في رواية خرجها أحمد عنه أنه سأل النبي ﷺ وهم، وقيل: إنه سفيان بن عبد الله الثقفي، فقد ورد عنه أنه سأل النبي ﷺ فأجابه بذلك فردد عليه مراراً يسأله عن ذلك يقول له نبي الله: لا تغضب. رواه العراقي في أماليه وقال: إنه حسن من هذا الوجه، قال: والحديث صحيح من وجه آخر يعني به حديث البخاري هذا. قال: وإنما أوردته من حديث سفيان لفائدة كونه هو السائل، قال: وقد روينا في أحاديث عن ابن عمر وعبد الله بن عمرو، وأبي الدرداء، وجارية بن قدامة أن كلاً منهم سأل النبي ﷺ عن ذلك فقال له: لا تغضب ا هـ. وجاء عن جابر وجارية كذلك، وتقدم عن شرح المشكاة لابن حجر أنه معاذ بن جبل، فلعله صدر من كل منهم **(قال للنبي ﷺ: أوصني)** توصية جامعة لخير الدارين، كما يدل عليه التعميم بحذف المفعول، وجاء في رواية عن أبي سعيد الخدري وأبي هريرة: «أخبرني بعمل يدخلني الجنة ولا تكثر علي لعلي أعقله» **(قال: لا تغضب)** لما كان الغضب من نزعات الشيطان، ولذا يخرج الإنسان عن اعتداله، فيتكلم بالباطل، ويفعل المذموم قال له لما قال أوصني: لا تغضب **(فردد)** السائل قوله أوصني **(مراراً قال:)** له ﷺ في جواب كل مرة **(لا تغضب)** ولم يزد عليه ففيه دليل على عظم مفسدة الغضب، وما ينشأ منه، وعند الخرائطي زيادة: «قال الرجل السائل ففكرت حين قال رسول الله ﷺ ما قال فإذا الغضب يجمع الشر كله» **(رواه البخاري)** في صحيحه من حديث أبي هريرة وكذا رواه الترمذي وقال: حسن صحيح غريب من هذا الوجه، ورواه المحاملي عن أبي سعيد وأبي هريرة، ورواه ابن حبان في روضة العقلاء له عن أبي هريرة، أو جابر ورواية البخاري المذكورة رافعة للشك، ورواه مسدد في مسنده عن أبي سعيد من غير تردد، وحديث أبي هريرة صحيح، وهو من إفراد البخاري أي: بالنسبة لمسلم، وأصح من حديث أبي سعيد، وروي من حديث جابر، وابن عمر، وابن عمرو، وأبي الدرداء، وجارية بن قدامة، وطرق الحديث استوعب جملة منها السخاوي في تخريج الأربعين التي جمعها المؤلف نفع الله به يأتي نقلها عنه ملخصاً في باب الحلم.

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب: الأدب، باب: الحذر من الغضب (١٠/ ٤٣١).

٤٩ ــ وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا يَزَالُ البَلاءُ بالمُؤْمِنِ وَالمُؤْمِنَةِ فِي نَفْسِهِ وَوَلَدِهِ وَمَالِهِ حَتَّى يَلْقَى اللَّهَ تَعَالَى وَمَا عَلَيْهِ خَطِيئَةٌ» رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ، وقَالَ حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ(١).

٥٠ ــ وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: قَدِمَ عُيَيْنَةُ بْنُ حِصْنٍ فَنَزَلَ عَلَى ابْنِ أَخِيهِ الحُرِّ بْنِ قَيْسٍ، .....

---

٤٩ ــ **(وعن أبي هريرة)** الأخصر وعنه **(رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ ما يزال البلاء)** بالمصائب، والمتاعب نازلاً **(بالمؤمن والمؤمنة في نفسه)** بالمرض، والفقر، والغربة، التي هي في الظاهر كربة، وإن نظرت إليها وأنها واردة إليك من أرحم الراحمين، انقلبت من كونها محنة، إلى كونها منحة **(وولده)** بالموت، والمرض أو عدم الاستقامة، أو نحوه مما يؤلم الوالد بحسب الطبع البشري **(وماله)** بالتلف ببعض الأسباب من حرق، أو سرقة، أو نحو ذلك **(حتى)** غاية لنزول البلاء بأرباب الإيمان، أي: إن البلاء لا يزال بالإنسان ــ أي: الصابر كما يدل عليه لفظ المؤمن والمؤمنة، المحمول على الفرد الكامل ــ إلى أن يغفر الله له به الخطايا فـ **(يلقى)** أي: المبتلى ليشمل كلاً منها **(الله تعالى)** ولقاء الله كناية عن الموت **(وما عليه خطيئة)** أي: ذنب جملة حالية، وقوله خطيئة ظاهر عمومه شمول الكبائر، والتبعات، فإن ثبت ذلك وأنه مراد، فذلك من محض فضل الكريم الجواد: إذ صالح العمل، ومنه الصبر والاحتساب إنما يكفر الصغائر المتعلقة بحقوق الله تعالى **(رواه الترمذي وقال: حديث حسن صحيح)** يحتمل أن يكون على تقدير واو العطف إن كان له إسنادان، أحدهما صحيح، والآخر حسن، وأن يكون على تقدير، أو إن كان سنده فرداً، واختلف في حاله، وقد تقدم بسط في هذا المقام في باب التوبة والحديث رواه أيضاً مالك.

٥٠ ــ **(وعن)** عبد الله **(بن عباس رضي الله عنهما قال: قدم)** بكسر الدال **(عيينة)** بضم أوله المهمل وفتح التحتية الأولى وسكون الثانية بعدها نون فهاء **(ابن حصن)** بكسر فسكون لأوليه المهملين الفزاري أسلم يوم الفتح وقيل: قبله. وكان من المؤلفة قلوبهم، ومن الأعراب الجفاة ارتد وأتي به أسيراً إلى الصديق فأسلم فأطلقه فقدم ابن حصن المدينة **(فنزل على ابن أخيه الحر)** بضم الحاء وتشديد الراء المهملتين **(ابن قيس)** ابن حصن الفزاري،

---

(١) أخرجه الترمذي في كتاب: الزهد، باب: ما جاء في الصبر على البلاء (الحديث: ٢٣٩٩).

وَكَانَ مِنَ النَّفَرِ الَّذِينَ يُدْنِيهِمْ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَكَانَ القُرَّاءُ أَصْحَابَ مَجْلِسِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَمُشَاوَرَتِهِ كُهُولاً كَانُوا أَوْ شُبَّاناً، فَقَالَ عُيَيْنَةُ لابْنِ أَخِيْهِ: يَا ابْنَ أَخِي، لَكَ وَجْهٌ عِنْدَ هَذَا الأَمِيرِ، فَاسْتَأْذِنْ لِي عَلَيْهِ، فَاسْتَأْذَنَ فَأَذِنَ لَهُ عُمَرُ، فَلَمَّا دَخَلَ، قَالَ: هِيَ يَا ابْنَ الْخَطَّابِ! فَوَاللَّهِ مَا تُعْطِينَا الجَزْلَ، وَلاَ تَحْكُمُ

صحابي، وهو الذي تمارى مع ابن عباس في صاحب موسى الذي سأل موسى السبيل إليه فقال ابن عباس: هو الخضر فسأل عنه أبياً فذكر فيه خبراً مرفوعاً كما قال ابن عباس وقد أخرجه كذلك البخاري في كتاب العلم من صحيحه **(وكان)** الحر **(من النفر)** بفتح أوليه الناس كلهم، أو ما دون العشرة من الرجال. وجمعه أنفار كذا في مختصر القاموس **(الذين يدنيهم)** بضم أوله أي: يقربهم **(عمر)** بن الخطاب **(رضي الله عنه)** لكونه من الفقهاء القراء **(وكان القراء)** جمع قارىء، والمراد منهم القارىء للقرآن المتفهم لمعانيه. فإن عادتهم حينئذ كانت كذلك، حتى لقد قرأ عمر رضي الله عنه البقرة في سبع سنين لذلك **(أصحاب)** أي: ملازمي **(مجلس عمر رضي الله عنه)** لينبهوه إذا سها، ويذكروه إذا نسي **(ومشاوريه)** يحتمل أن يكون بالفوقية بعد الراء المهملة فيكون معطوفاً على مجلس، ويحتمل أن يكون بالتحتية جمع مذكر سالم فيكون معطوفاً على أصحاب **(كهولاً كانوا أو شباناً)** الكهل الذي جاوز الثلاثين، ووخطه الشيب، وقال ابن فارس: قال المبرد هو ابن ثلاث وثلاثين سنة، وفي تحفة القاري: سن الشباب خمس وثلاثون سنة، وسن الكهولة خمسون سنة، وسن الشيخوخة ستون سنة ا هـ. وبه يعلم أن الثلاث والثلاثين ابتداء الكهولة، وتتمر إلى الخمسين، وما قبل ذلك من بعد البلوغ فسن الشباب، والشبان بضم المعجمة وتشديد الموحدة آخره نون جمع شاب، وفي نسخة بفتح أوليه وآخره موحدة أيضاً **(فقال عيينة لابن أخيه: يابن أخي لك وجه)** أي: جاه **(عند هذا الأمير)** أي: عمر بن الخطاب رضي الله عنه **(فاستأذن لي)** أمر أي: اسأل لي الأذن في الدخول **(عليه فاستأذن)** أي: الحر لعيينة **(فأذن عمر له)** أي: لعيينة في الوصول إليه **(فلما دخل)** معطوف على مقدر أي: فدخل فلما دخل **(قال: هي)** بكسر الهاء وسكون التحتية كلمة تهديد وقيل: هي ضمير وثم محذوف أي: هي داهية، وفي البخاري هيه بهاء السكت في آخره، وفي أخرى منه إيه بالهمز بدل الهاء. وهما بمعنى كما قال ابن الأثير فمعناهما بلا تنوين: زدني من الحديث المعهود، وبالتنوين من أي حديث كان **(يا بن الخطاب فوالله ما تعطينا الجزل)** بالنصب مفعول به، أو مطلق، أي: ما تعطينا الشيء الكثير أو العطاء الكثير، وأصل الجزل ما عظم من الحطب. وكأنه أراد أنه

فِينَا بِالعَدْلِ، فَغَضِبَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حَتَّى هَمَّ أَنْ يُوقِعَ بِهِ، فَقَالَ لَهُ الحُرُّ: يَا أَمِيرَ المُؤْمِنِينَ: إِنَّ اللَّهَ تَعَالَىٰ قَالَ لِنَبِيِّهِ ﷺ: «خُذِ العَفْوَ، وَأْمُرْ بِالعُرْفِ، وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ» وَإِنَّ هَذَا مِنَ الْجَاهِلِينَ، وَاللَّهِ مَا جَاوَزَهَا عُمَرُ حِينَ تَلَاهَا، وَكَانَ وَقَّافاً عِنْدَ كِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى. رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ[1].

٥١ ــ وَعَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: «إِنَّها سَتَكُونُ

يستأثر به عن مستحقيه **(ولا تحكم فينا بالعدل)** وهو ما جاء به الكتاب، والسنة نصاً، أو استنباطاً **(فغضب عمر رضي الله عنه)** أي: لما رماه به من منع المال عن مستحقه من الأنام، وعدم العدل في الأحكام **(حتى هم)** بتشديد الميم أي: أراد **(أن يوقع به)** بضم التحتية وكسر القاف، والمفعول محذوف أي: شيئاً من العقوبة، وذلك لجفائه، وسوء أدبه معه **(فقال له)** أي: لعمر، وقدمه على الفاعل اهتماماً به **(الحر: يا أمير المؤمنين)** تقدم أول الكتاب أنه أول من لقب به من الخلفاء **(إن الله تعالى قال لنبيه ﷺ)** محرضاً له على الحلم والصفح أي: ولكم في رسول الله أسوة حسنة **(خذ العفو)** التيسير من أخلاق الناس ولا تبحث عنها. وفي البخاري عن عبد الله بن الزبير: «ما نزلت: خذ العفو وأمر بالعرف. إلا في أخلاق الناس» وفي رواية قال: «أمر رسول الله ﷺ أن يأخذ العفو من أخلاق الناس» وكذا في جامع الأصول **(وأمر بالعرف)** أي: المعروف **(وأعرض عن الجاهلين)** فلا تقابلهم بسفههم. روي أنه «لما نزلت هذه الآية قال رسول الله ﷺ لجبريل: ما هذا؟ قال لا أدري حتى اسأل. ثم رجع فقال إن ربك يأمرك أن تصل من قطعك. وتعطي من حرمك وتعفو عمن ظلمك». ذكره البغوي في تفسيره بلا سند قال جعفر الصادق: ليس في القرآن آية أجمع لمكارم الأخلاق من هذه **(وإن هذا من الجاهلين)** المأمور ﷺ بالصفح عنهم، والتجاوز عن سوء فعلهم، والخطاب له ﷺ يدخل في حكمه أمته إلا ما قام الدليل على اختصاصه به **(والله ما جاوزها)** أي: الآية **(عمر)** أي: ما خرج عما تضمنته من الصفح، والتجاوز **(حين تلاها)** الحر عليه **(وكان وقافاً عند)** حدود **(كتاب الله)** كناية عن امتثاله لها، والاهتمام بأمرها، وعدم تجاوز ذلك والوقاف بالتشديد للثاني من الوقوف كذا في النهاية **(رواه البخاري)** في التفسير، وفي الاعتصام.

٥١ ــ **(وعن)** عبد الله **(بن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: إنها ستكون)**

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب: التفسير/الأعراف، باب: خذالعفو وأمر بالعرف. وفي الاعتصام بالكتاب والسنة، باب: الاقتداء بسنن رسول الله ﷺ (٨/٢٢٩ و١٣/٢١٧، ٢١٩).

بَعْدِي أَثَرَةٌ وَأُمُورٌ تُنْكِرونَهـا»، قَالـوا: يَـا رَسُـولَ اللَّهِ فَمَـا تَـأْمُرُنَـا؟ قَـالَ: «تُـؤَدُّونَ الْحَقَّ الَّذي عَلَيْكُمْ، وَتَسْأَلونَ اللَّهَ الَّذِي لَكُمْ» مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ. و«الأَثَرَةُ»: الانْفِرَادُ بِالشَّيْءِ عَمَّنْ لَهُ فيهِ حَقٌّ[1].

٥٢ ـ وَعَنْ أَبِـي يَحْيَـى أُسَيْد بْنِ حُضَيْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَجُلاً مِنَ الأَنْصَارِ قَالَ:

تحصل **(بعدي)** أي: بعد وفاتي بمدة كما تومىء إليه السين **(أثرة)** بالمثلثة والراء اسم مصدر استأثر، أو اسم مصدر آثر يؤثر أي: يستأثر عليكم أي: يفضل غيركم في نصيبه من الفيء، والاستئثار الانفراد بالشيء **(وأمور تنكرونها)** كما وقع من تأخير الصلوات، وبعض المنكرات **(قالوا: يا رسول الله فما تأمرنا)** نفعله حينئذ **(قال: تؤدون)** بضم الفوقية وفتح الهمزة وتشديد المهملة أي: تعطون **(الحق الذي)** كتب **(عليكم)** من الانقياد لهم، وعدم الخروج عليهم **(وتسألون الله الذي لكم)** من الحق في بيت مال المسلمين، أي: تطلبون منه ذلك، وهو يسخر قلوبهم لأداء ذلك، أو يعوضكم عنه، ولا يجوز لكم الخروج عليهم لمنع أداء الحق الواجب عليهم، وما نقل عن بعض السلف من الخروج على ولاة زمنه فذاك اجتهاد له. وفي الحديث الصبر على المقدور، والرضا بالقضاء حلوه، ومره، والتسليم لمراد الرب العليم الحكيم **(متفق عليه)** رواه البخاري في علامات النبوة وفي الفتن، ورواه مسلم في المغازي ورواه الترمذي في جامعه وقال: حسن صحيح **(والأثرة)** بفتح أوليه وقال: الأثرة بضم الهمزة، وبالكسر وسكون المثلثة وكالحسنى. كذا في مختصر القاموس **(الانفراد بالشيء)** أي: الاختصاص به أو ببعضه **(عمن له فيه حق)** فهو منع المستحق من نصيبه مثلاً، أو من بعضه.

٥٢ ـ **(وعن أبي يحيى)** كني بابنه يحيى وقيل: كنيته أبو عيسى كناه بها النبي ﷺ وقيل: أبو عتيك، وقيل: أبو حضير، وقيل: أبو عمرو **(أسيد بن حضير)** وسيأتي ضبط هذين الاسمين. وأسيد بن حضير **(رضي الله عنه)** أنصاري أوسي أشهلي، أسلم قبل سعد بن معاذ على يد مصعب بن عمير بالمدينة بعد العقبة الأولى، وقيل: الثانية وكان الصديق يكرمه، ولا يقدم عليه أحداً، ويقول إنه لا خلاف عنده، وشهد العقبة الثانية، وكان نقيباً لبني عبد الأشهل، واختلف في شهوده بدراً، وشهد أحداً وما بعدها، آخى ﷺ بينه، وبين زيد بن

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب: الفتن، باب: قول النبي ﷺ سترون بعدي أموراً تنكرونها (١٣/ ٤).

وأخرجه مسلم في كتاب: الإمارة، باب: وجوب الوفاء ببيعه الخلفاء الأول فالأول. (الحديث: ٤٥).

يَا رَسُولَ اللَّهِ أَلَا تَسْتَعْمِلُنِي كَمَا اسْتَعْمَلْتَ فُلَاناً وَفُلَاناً؟ فَقَالَ: «إِنَّكُمْ سَتَلْقَوْنَ بَعْدِي أَثَرَةً، فَاصْبِرُوا حَتَّى تَلْقَونِي عَلَى الحَوْضِ» مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ. و«أُسَيْدٌ» بِضَمِّ الهَمْزَةِ. و«حُضَيْرٌ» بِحَاءٍ مُهْمَلَةٍ مَضْمُومَةٍ وَضَادٍ مُعْجَمَةٍ مَفْتُوحَةٍ، . . . . . .

حارثة، وكان من أحسن الصحابة صوتاً بالقرآن، وكان أحد العقلاء الكمل أصحاب الرأي، وأخرج في أسد الغابة عن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: «نعم الرجل أسيد بن حضير» روي له عن رسول الله ﷺ ثمانية عشر حديثاً قاله ابن حزم في سيرته، اتفقا منها على حديث واحد. وهو هذا. وانفرد البخاري عنه بحديث آخر أخرجه تعليقاً. توفي أسيد في شعبان سنة عشرين، وحمل عمر رضي الله عنه السرير حتى وضعه بالبقيع وصلى عليه، وكان قد أوصى إلى عمر في وفاء دينه، فوجد عليه أربعة آلاف دينار فسده من ثمر نخله، باعه بذلك أربع سنين **(أن رجلاً من الأنصار)** قال الشيخ زكريا: قيل هو أسيد بن حضير الراوي اهـ. قال السيوطي: ولا بدع أن الراوي يبهم نفسه، كما سيأتي في حديث أبي سعيد في قصة الرقية بالفاتحة **(قال: يا رسول الله ألا)** بفتح الهمزة وتخفيف اللام أداة عرض **(تستعملني)** أي: تصيرني عاملاً في بلاد ونحوها **(كما استعملت فلاناً)** هو عمرو بن العاص **(وفلاناً)** أي: استعمالاً كاستعمال فلان وفلان. قال ابن السراج: لفظ فلان يكنى به عن اسم سمي به المحدث عنه خاص بالناس غالباً، ويقال في النداء: يافل بحذف الألف والنون، وقد يحذفان في غير النداء ضرورة ويقال في غير الناس الفلان، والفلانة بأل هذا ما ذكره الجوهري قال المصنف في التهذيب: ورد عن أبي يعلى في مسنده بإسناد على شرط مسلم عن ابن عباس قال: «ماتت شاة لسودة بنت زمعة فقالت يا رسول الله: ماتت فلانة تعني الشاة» الحديث. قال: كذا هو النسخ المعتمدة فلانة من غير أل وهذا تصريح بجوازه فهما لغتان اهـ. **(فقال: إنكم)** أي: يا معشر الأنصار **(ستلقون بعدي أثرة)** تقدم ما فيه من اللغات والمعنى المراد منه. **(فاصبروا)** على استئثارهم عليكم بما تستحقونه **(حتى تلقوني على الحوض)** أي: إلى الموت الكائن بعد البعث منه لقاؤهم له ﷺ على الحوض. فإن قلت ما وجه المناسبة بين قوله «إنكم ستلقون إلخ»، وما سأله من العمل. قلت: لعله أن من شأن العامل الاستئثار إلا من عصم الله، فأشفق عليه ﷺ من أن يقع فيما يقع فيه بعض من يأتي بعده من الملوك، فيستأثر على ذوي الحقوق، ويمنعهم منه، وهذا من جملة معجزاته ﷺ، فقد وقع كما أخبر، وفي الحديث إيماء إلى أن الخلافة بعده ﷺ لا تكون فيهم، وقد أوصى عليهم ﷺ **(متفق عليه. وأسيد بضم الهمزة)** وفتح السين المهملة وسكون التحتية آخره دال مهملة **(وحضير بالحاء المهملة المضمومة فضاد معجمة مفتوحة)** عرف

واللَّهُ أَعْلَمُ(١).

٥٣ ــ وَعَنْ أَبِي إِبْرَاهِيمَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي أَوْفَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فِي بَعْضِ أَيَّامِهِ الَّتِي لَقِيَ فِيهَا الْعَدُوَّ، انْتَظَرَ حَتَّى إِذَا مَالَتِ الشَّمْسُ

الحاء، ونكر الضاد تفنناً في التعبير، وبعد الضاد تحتية ساكنة فراء مهملة.

٥٣ ــ **(وعن أبي إبراهيم)** وقيل؛ أبو معاوية. وقيل: أبو محمد **(عبد الله بن أبي أوفى)** واسم أبي أوفى، علقمة بن خالد بن الحارث بن أبي أسيد بن رفاعة بن ثعلبة بن هوازن بن أسلم الأسلمي. هو وأبوه صحابيان **(رضي الله عنهما)** بايع عبد الله بيعة الرضوان، وشهد خيبر، وما بعدها من المشاهد. ولم يزل بالمدينة حتى قبض رسول الله ﷺ. ثم تحول إلى الكوفة، وهو آخر من توفي بها من أصحاب النبي ﷺ. أخرج ابن الأثير في أسد الغابة عنه: «أنه سئل عن أكل الجراد. فقال غزوت مع رسول الله ﷺ ست غزوات نأكل الجراد» روي له عن رسول الله ﷺ خمسة وتسعون(٢) حديثاً اتفقا منها على عشرة وانفرد البخاري بخمسة، ومسلم بواحد. توفي عبد الله بالكوفة سنة ست وقيل سبع وثمانين بعدما كف بصره رضي الله عنه **(أن رسول الله ﷺ في بعض أيامه)** أي: أيام غزواته وحروبه وهو متعلق بقوله الآتي «انتظر» **(التي لقي فيهما العدو)** وتقدم في باب التوبة إن عدد المغازي التي خرج لها رسول الله ﷺ بنفسه سبع وعشرون، قاتل في تسع منها بنفسه تقدم بيانها ثمة، والعدو بفتح العين فضم الدال المهملتين وتشديد الواو يطلق على الواحد، والجمع والمراد منه الكفار **(انتظر)** أي: أخر قتالهم **(حتى إذا مالت الشمس)** عن كبد السماء إلى جهة المغرب، وهو وقت الزوال، أي: كان يؤخر القتال إلى ميل الشمس، ليبرد الوقت على المقاتلة، ويخف عليهم حمل السلاح التي يؤلم حملها في شدة الهاجرة، وقيل: بل كان يفعل ذلك لانتظار هبوب ريح النصر التي نصر بها، وفي حديث عند أبي داود: «كان ﷺ ينتظر حتى تزول الشمس، وتهب رياح النصر» **(قام فيهم)** وحتى لبيان غاية الانتظار أي: ما زال منتظراً إلى ميل الشمس، وقام جواب، إذا والظرف حال من الضمير في قام أي: قام فيهم منبهاً لهم

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الأنبياء باب علامات النبوة في الإسلام (١٣ / ٤) وفي كتاب الفتن، باب: قول النبي ﷺ سترون بعدي أموراً تنكرونها.

وأخرجه مسلم في كتاب: الإمارة، باب: الأمر بالصبر عند ظلم الولاة واستئثارهم. (الحديث: ٤٨).

(٢) في نسخة «وعشرون» بدل «وتسعون». ش

قَامَ فِيهِمْ، فَقَالَ: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ لَا تَتَمَنَّوْا لِقَاءَ الْعَدُوِّ، وَاسْأَلُوا اللَّهَ الْعَافِيَةَ، فَإِذَا لَقِيتُمُوهُمْ فَاصْبِرُوا، واعْلَمُوا أَنَّ الْجَنَّةَ تَحْتَ ظِلَالِ السُّيُوفِ» ثُمَّ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ:

على ما فيه صلاحهم (**فقال: يأيها الناس لا تتمنوا لقاء العدو**) زاد في رواية: «**فتضربوا** رقابهم ويضربوا رقابكم» وحكمة النهي كما قاله ابن بطال: إن المرء لا يعلم مآل أمره، وهو نظير سؤال العافية من الفتن، وقال الصديق: «**لأن أعافي فأشكر أحب إليّ من أبتلى فأصبر**» وقيل إنما نهى عنه لما فيه من صور الإعجاب والاتكال على القوة، والوثوق بها، وقلة الاهتمام بأمر العدو وكل ذلك مباين للاحتياط، والأخذ بالحزم زاد المصنف: وهو نوع بغي وقد وعد الله من بغي عليه بالنصر. وقيل: إن ذلك للخوف من أدالة العدو على المسلمين، وظفره بهم وقد جاء في هذا الحديث: «فإنهم ينصرون كما تنصرون» وفي هذا المحل بسط تام في شرح الأذكار فراجعه (**واسألوا الله العافية**) قال المصنف: كثرت الأحاديث في الأمر بسؤال العافية وهي من الألفاظ المتناولة لدفع جميع الآفات في البدن في الظاهر، والباطن: في الدين، والدنيا، والآخرة (**فإذ (لقيتموهم)** أي: العدو (**فاصبروا**) على قتالهم ولا تجبنوا عن حربهم فإنه تعالى مع الصابرين بالمعونة وقد وعد جنده بالظفر فقال: ﴿**وإن جندنا لهم الغالبون**﴾[1] ففيه الحث على الصبر، وهو من أهم المطلوب في الجهاد (**واعلموا أن الجنة تحت ظلال**) بكسر الظاء المعجمة جمع ظل (**السيوف**) أي: حاصلة بها قال التوربشتي: معناه ثواب الله، والسبب الموصل إلى الجنة عند الضرب بالسيف، ومشي المجاهد في سبيل الله، فاحضروا بصدق نية واثبتوا. وقال القرطبي هذا من الكلام النفيس البديع الذي جمع ضروب البلاغة من جزالة اللفظ، وعذوبته وحسن استعارته، وشمول المعاني الكثيرة مع الألفاظ المقبولة الوجيزة بحيث تعجز الفصحاء اللسن البلغاء عن إيراد مثله، وأن يأتوا بنظيره، وشكله. فإنه استفيد منه مع وجارته، الحض على الجهاد والإخبار بالثواب عليه، والحض على مقاربة العدو، واستعمال السيوف والاعتماد عليها، واجتماع المقاتلين حين الزحف بعضهم بعض، حتى تكون سيوفهم بعضها يقع على العدو، ويرتفع عليهم حتى كأن السيوف أظلت الضاربين بها، ويعني أن الضارب بالسيف في سبيل الله، يدخل الجنة بذلك، وهذا كما قال في الحديث الآخر: «الجنة تحت أقدام الأمهات» ويعني أن من بر أمه، وقام بحقها دخل الجنة (**ثم قال**) داعياً بالنصر، وقدم الثناء عليه تسليماً للأدب فيه، وهو أن يقدم الداعي أمام دعائه ذكر بعض أسمائه تعالى، وأوصافه مما يناسب حاجته، ومطلوبه:

---

(١) سورة الصافات، الآية: ١٧٣.

«اللَّهُمَّ مُنْزِلَ الْكِتابِ، وَمُجْرِيَ السَّحَابِ، وَهَازِمَ الأَحْزَابِ اهْزِمْهُمْ وَانْصُرْنَا عَلَيْهِمْ»

لأنه (ﷻ) مطلوبه هنا النصرة وهي من آثار القدرة، والمذكور يناسبها أيَّ مناسبة **(اللهم)** يا **(منزل الكتاب)** أل فيه للجنس، والكتب المنزلة إلى الدنيا بتخفيف الزاي ويجوز تشديدها مائة وأربعة: ستون صحف شيث، وثلاثون صحف إبراهيم، وعشر صحف موسى قبل التوراة، والتوراة، والإنجيل، والزبور، والفرقان. ويجوز أن تكون أل للعهد، والمراد به القرآن، وفي ذكره إيماء إلى وعده بنحو قوله: ﴿ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادي الصالحون﴾[1] ولذا جاء عنه: «لا إله إلا الله وحده صدق وعده ونصر عبده» **(ومجري السحاب)** بإثبات واو العطف، ووقع في بعض نسخ الحصن حذفها والذي في الصحيح إثباتها **(وهازم الأحزاب)** الطوائف من الكفار الذين تحزبوا على رسول الله ﷺ، واحده حزب بالكسر، وكانت وقعة الأحزاب في السنة الخامسة من الهجرة، وقيل في الرابعة منها، وإنما خصت بالذكر لأن هزمهم فيها مع كثرة عددهم وعددهم إنما كان بمحض القدرة الإلهية لا دخل فيه لمباشرة الأسباب، بخلاف باقي الحروب فإنه كان عقب مقاتلتهم، بل وأعجب من ذلك، أن هزمهم كان بما يستراح به الشيء عادة، وهي ريح الصبا التي تستريح بها النفوس، ويرتاح بها المأنوس، فكان ذلك لهم دافعاً، ولكيدهم مانعاً ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيراً **(اهزمهم)** أي: القوم المحاربين حينئذ أي: اغلبهم **(وانصرنا عليهم)** أي: عجل به وإلا فرسل الله هم المنصورون، وجند الله هم الغالبون، وخص الدعاء عليهم بما ذكر دون الإهلاك، لأن فيه سلامة نفوسهم وقد يكون فيها رجا لإسلامهم بخلاف الإهلاك. وفي الحديث استعمال السجع في الدعاء، قال المصنف وغيره: والسجع المذموم في الدعاء هو المتكلف لأنه يذهب الخشوع، والخضوع، والإخلاص، ويلهي عن الضراعة، والافتقار وفراغ القلب، أما ما حصل بلا كلفة، ولا إعمال فكر لكمال فصاحة الداعي، ونحو ذلك أو لكونه محفوظاً فلا بأس به بل هو حسن اهـ. وفي الحديث الدعاء حال الشدائد والخروج من الحول، والقوة، وذلك من أعظم الأسباب لبلوغ المآرب، ونيل المطالب وفي الحديث: «لا حول ولا قوة إلا بالله دواء من تسعة وتسعين داء أيسرها الهم» والله أعلم. وفي فعله ﷺ جمع بين الحقيقة والشريعة. فالشريعة أخذه العدة من السلاح، وغيره، والخروج للقتال، وتحريض الصحابة على ذلك، والحقيقة هي دعاؤه ﷺ، وإظهاره للافتقار وتعلقه بربه، وكذا كان عليه الصلاة والسلام يفعل

---

(١) سورة الأنبياء، الآية: ١٠٥.

مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ، وَبِاللَّهِ التَّوفِيقُ[١].

٤ ــ باب: في الصدق

قَالَ اللَّه تَعَالَى[٢]: ﴿يَا أَيُّها الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّــهَ وكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾.

في جميع أموره يبالغ في امتثال الحكمة، ثم بعد ذلك يرجع إلى الحقيقة فيتعلق بالله تعالى ويرد الأمر إليه (متفق عليه) ورواه أحمد، وأبو داود، وقال العارف بالله ابن أبي جمرة: قيل في الحديث دليل للصوفية في المجاهدة التي يأخذون بها لأنفسهم في كل ممكن يمكنهم بالمال، وبالأيدي، وبالألسنة، لأنه إذا فعل ذلك في الجهاد الأصغر فكيف به في الجهاد الأكبر، وكيفيته في الجهاد الأكبر ألا يتصرف في شيء من ذلك إلا باتباع أمر الله تعالى، واجتناب نهيه، وفيه أيضاً دليل لهم في كونهم يطلبون العافية لأنفسهم، ولا يعرضون بأنفسهم إلى المجاهدة[٣] التي لا قدرة لهم عليها إلا أن يضطروا إلى ذلك فيفعلونه للاضطرار لأنه ﷺ نهى عن تمني لقاء العدو في الجهاد الأصغر، وأمر بطلب العافية، فكيف به في الجهاد الأكبر. فعلى هذا فشأن المرء أن يطلب العافية في كل الأشياء ولا يعرض نفسه لشيء، وهو لا يقدر عليه اللهم إلا إن أتاه أمر وفاجأه، فوظيفته إذ ذاك الصبر والتثبت والأدب فيما أقيم فيه ا هـ.

باب في الصدق

قال العلامة ابن أبي شريف في حواشي شرح العقائد: الصدق استعمله الصوفية بمعنى استواء السر والعلانية، والظاهر، والباطن، بألا تكذب أحوال العبد أعماله، ولا أعماله أحواله، وجعلوا الإخلاص لازماً أعم، فقالوا: كل صادق مخلص، وليس كل مخلص صادقاً ا هـ. وفي شرح رسالة القشيري للشيخ زكريا: سئل الجنيد أهما واحد، أم بينهما فرق، فقال بينهما فرق. الصدق أصل والإخلاص فرع، والصدق أصل كل شيء، والإخلاص لا يكون إلا بعد الدخول في الأعمال، والأعمال لا تكون مقبولة إلا بهما ا هـ.

(قال الله عز) أي: غلب على مراده (وجل) عما لا يليق بشأنه، ويجوز فيهما من

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الجهاد، باب: الجنة تحت بارقة السيوف وباب لا تتمنوا لقاء العدو (١٠/٤٢٣).
وأخرجه مسلم في كتاب: الجهاد والسير، باب: كراهة تمني لقاء العدوّ، والأمر بالصبر عند اللقاء (الحديث: ٢٠).

(٢) سورة التوبة، الآية: ١١٩.

(٣) أي مجاهدة النفس. ع